بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

A Translation of the Pages (27 – 77) of the Book Entitled
(the Sudan handbook)

Edited by:

John Ryle, Gustin willies, Suliman Baldo and Jok Mudut Jok

ترجمة الصفحات (27 – 77) من كتاب دليل السودان لمؤلفيه :

حون ريل وجاستين ويليس وسليمان بلدو و جوك مدود جوك

A thesis submitted in Partial of the requirement for the degree of master in general translation

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الترجمة العامة

إعداد الدارس :

أبوذر عبد العزيز علي الدين

الإشراف :

د. محمد الأمين الشنقيطي

2018م

إستهلال

قالي تعالي : ((وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب))

((هود من الآية 88))

شكر وعرفان

أشكر الله العلي القدير الذي أنعم علي بنعمة العقل والدين ، القائل في محكم تنزيله "وفوق كل ذي علم عليم" صدق الله العظيم (سورة يوسف الآية 76)

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (من صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتي تروا أنكم كافأتموه) رواه أبوداؤود

وأنثر ثناءاً حسناً علي الدكتور/ **محمد الأمين الشنقيطي** ، الذي أقول له بشراك قول رسول الله صلي الله عليه وسلم :

(إن الحوت في البحر، والطير في السماء ليصلون علي معلم الناس الخير)

وأيضا وفاءاً وتقديراً وإعترافاً مني بالجميل أتقدم بجزيل الشكر لؤلئك المخلصين الذين لم يألو جهداً في مساعدتي ، علي إتمام هذا البحث وكل من قدم لي العون ومد يد المساعدة وزودني بالمعلومات اللازمة لإتمام هذه الدراسة علي أكمل وجه .

وأهدي هذا الجهد المتواضع ...
إلي من كلله الله بالهيبة والوقار ... إلي من علمني العطاء بدون انتظار
إلي من أحمل اسمه بكل افتخار ... أرجو من الله أن يمد في عمرك لتري ثمارا قد حان قطافها بعد طوال انتظار ... وستبقي كلماتك نجوم اهتدي بها اليوم وفي الغد وإلي الأبد ...
"والدي العزيز"
إلي ملاكي في الحياة ... إلي معني الحب والرضي والحنان والتفاني ... إلي بسمة الحياة وسر الوجود إلي من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلي أغلي الحبايب
" أمي الحبيبة "
إلي إخوتي الأعزاء وأساتذتي الأفاضل وأصدقائي وكل من ساعد علي إتمام هذا البحث

الباحث

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الأستهلال	1
الشكر والعرفان	2
مقدمة المترجم	3 - 6
فهرسة الموضوعات	7
المقدمة: السودان أصبحت دويلات	8 - 11
رسم خريطة السودان	11 - 15
المعرفة المحلية والقوة العالمية	15 - 21
الأرض والماء	21 - 23
الطبيعة والتاريخ	23 – 26
الطبيعة والتكنلوجيا	26 - 28
السيطرة علي النيل	28 - 31
الموارد الطبيعية	31 - 33
المعادن	33 - 34
النفط	34- 35
الدول المبكرة علي النيل	35 - 36
إعادة إكتشاف ماضي السودان القديم	36- 37
دائرة الآثار السودانية	37 - 38
الصيادون والحشود والمزارعون الأوائل	38 - 39
الحضارة المدنية الأولي والعلاقات مع مصر	39 - 41
قيام وسقوط مملكة كوش	41 – 44
الممالك المسيحية في النوبة	44 - 45
مجيئ الإسلام	45 - 46
شعوب وثقافات البلدين (الشمال والجنوب)	47 - 49
الهجرة والتوطين	49 - 51
الهويات العربية في شمال السودان	51- 53

مقدمة المترجم

هذا البحث أطروحة ترجمة كتاب دليل السودان "The Sudan Handbook "لمؤلفيه جون ريل وجاستين ويلس وسليمان بلدو وجوك مدود جوك، وهو عبارة مرجع يضم في طياته كل من تاريخ وثقافات البلدين (السودان ودولة جنوب السودان) متمثلا في الموارد ومصادر الطاقة والأجناس التي تقطنها ولهجاتهم وايضا كيفية قيام الدولة المسماة (السودان).

ولأهمية ماتضمنه هذا الكتاب قام الدارس بترجمته إلي اللغة العربية تعميما للفائدة وتتخلص أهمية محتويات هذا الكتاب في أمور عديدة ، منها مايلي:

- يغطي الكتاب السودان وجنوب السودان والحدود الشمالية والجنوبية.
- ويضم مقدمة موثوقة للبلدين ، تم توثيقها في تقرير تاريخي عن تطور الدولة.
- تشمل فصولاً عن السياسة الحالية ، والدين ، والتمدن ، والثقافة الشعبية ، والحرب في الجنوب ، ودارفور والعوالم الأثرية لأوائل الدول على النيل.

Translator's introduction

This research is a translation of Sudan's Handbook edited by, John Reel, Justin Wills, Sulaiman Baldou and Jook Medoud Jook, a reference that includes both the history and cultures of the two countries (Sudan and South Sudan) represented in national resources, energy sources, The people who lived in, their dialects, as well as how the country so-called (Sudan) established.

As the importance of the contents of this book, the researcher translated into Arabic for general benefit, the importance of the contents of this book is eliminated in many ways, including the following:

- The book covers Sudan, South Sudan and the northern and southern borders.
- It offer an authoritative introduction to the two countries rooted in an historical account of the development of the state.
- It includes chapters on current politics, religion, urbanization, popular culture, and the archaeology of the early state on the Nile.

حيثيات الترجمة والصعوبات التي واجهت الدارس

إطلع الباحث علي النص الأصلي "باللغة الإنجليزية" بتمعن لإكتشاف معناه ثم ترجمته إلي اللغة العربية "اللغة الهدف" مستخدما في ذلك أساليب الترجمة المباشرة وغير المباشرة، وفي كل ذلك كان الباحث يحلل النص ويستخلص معناه ثم يصوغه في لغة الترجمة مراعيا مبادئ الترجمة والإلتزام باللغة المستخدمة، لم يواجه الباحث مشكلات ذات بال في مجال الترجمة، إلا أن هنالك بعض المصطلحات تعود للإستخدام المحلي والتي تعتبر مندثرة ،لهذ ركز الدارس علي إختيار مقابلات مفهومة للقراءة للوسط السوداني.

Merits of translation and the difficulties faced by the researcher:

The researcher studied the original text in English carefully to discover its meaning and then translated it into Arabic, the target language, using direct and indirect translation methods. In all this, the researcher analyzes the text and extracts its meaning and then drafts it in the target language. , The researcher did not face significant problems in the field of translation, but there are some terms related to the local use, which is absent, so the researcher focused on the selection of understandable equivalents to meet the satisfaction of the Sudanese readers.

المقدمة : السودان أصبحت دويلات

جون ريل وجو ستين ويليس

إن مستقبل السودان ، في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، يكتنفه الغموض. حيث أنها لم تعد دولة موحدة كما كانت إعتباراً من العام 2011م . ويمكن أن يصاحب عملية الفصل الإقليمي بين الشمال والجنوب تجدد الصراع . إن السودان الذي أنشئ في القرن التاسع عشر من خلال الغزو والحكم الإستعماري من جانب مصر وبريطانيا لم يعد موجودا . وهذا يمثل تغييرا جذرياً.

ومهما حدث في السنوات القادمة فإن الأحداث ستظل تتشكل بإرث بناء الدولة الذي يعود إلي القرن الثامن عشر بالفتوحات التي سبقت الحكم الإستبدادي والمشاريع السياسية التي تلته في حقبة ما بعد الاستقلال . فإن فهم الأحداث كما تتجلي للعيان اليوم يحتاج إلي أن يكون مستنيراً بمعرفة ما يمكن فيها: فهماً للعناصر الجغرافية والثقافية والتاريخية للبلد الذي أنشئ علي مدي القرنين الماضيين ، وتكرار أنماط تشكيل الدولة والاضمحلال وقد تشكلت وتجسدت من قبل مؤسساتها السياسية والتاريخ الاقتصادي .

وفي عام 2004م ومن أجل تركيز الاهتمام علي هذه المسائل المتعلقة بالسياسة والتنمية في السودان، نظم معهد الوادي المتصدع دورة السودان الأولي . وقد تعقدت الدورة سنويا منذ ذلك الحين، علي نحو مستمر في مدرسة رومبيك الثانوية العليا في ولاية البحيرات . ويتألف الدورة من أسبوع من التدريس المكثف الذي يغطي جميع جوانب البلد ويجمع بين المدرسين – ومعظمهم من الأكاديميين المحترفين، السودانيين وغير السودانيين والهيئة الطلابية للدبلوماسيين والعاملين في المجال الإنساني والمهنيين الإنمائيين وطلاب الدراسات العليا من الجامعات السودانية. ويعكس دليل السودان روح التحقيق الجماعي وتنوع الآراء وتبادل الخبرات التي اتسمت بها الدورة منذ الأيام الأولي . و بدأت الدورة في برهة من التفاؤل. وبحلول أوائل عام 2004م أصبح واضحاً أن المفاوضات التي أجريت

في كينيا بين حكومة السودان والحركة الشعبية لتحرير السودان، في مشاكوس ثم في نيفاشا ، ستؤدي قريبا إلي إتفاق سلام ملزم . وقد عرضت الإتفاقيات التي وقعت بالفعل التزاماً من كلا الجانبين بالتحول السياسي الشامل، الذي من شأنه أن يضفي علي المسائل الأساسية المتعلقة بعدم المساواة والظلم والتمثيل الشعبي . ويبدو أن هناك احتمالاً حقيقيا بأن تتحسن ظروف حياة ملايين الناس في جميع أنحاء السودان تحسناً كبيراً .

ولكن من الواضح أيضا أن الصراعات التي عصفت بالبلاد لعقود من الزمان لا يمكن أن تكون مجرد رغبة قي التوقيع علي اتفاق سلام . وكانت هذه الصراعات نتاجا لأنماط راسخة من الاستبداد من جانب الدولة السودانية التي سيكون من الصعب الابتعاد عنها. وقد ولدت أو زادت حدتها بفعل المشروعات السابقة للتحول الوطني التي كانت قد أتبعت دون إيلاء اهتمام يذكر لصالح أراء معظم المتأثرين بها. ومن الواضح أن هناك خطرا يتمثل في أن اتفاق السلام الذي أبرم بين الأطراف المتحاربة، وهو اتفاق السلام الشامل الذي تم التوقيع عليه أخيراً في نيفاشا في العام الماضي ، قد يكون له ذات النتيجة. وبحلول العام 2004م أصبح بالفعل أن صناعة النفط ستجلب ثروة جديدة إلي السودان . وقد أدي النفط إلي تأجيج الحرب وإيجاد عائد محتمل للسلام، وهو عامل ساعد علي جذب المتحاربين إلي طاولة المفاوضات. و حتى قبل اتفاق السلام، كانت التدخلات العنيفة في المناطق النفطية التي وقعت أثناء الحرب قد انتهت . ولكن يبدو أن معاناة السودانيين في زمن الحرب قد تكون علي وشك أن تحل محلها مشاكل جديدة تتعلق بالسلام .

وكانت السنوات التي أعقبت إتفاقية السلام الشامل هي رؤية التدفقات المفاجئة غير المتوقعة لرأس المال، وزيادة كبيرة في وجود كل من عمال النفط والعاملين في مجال الإغاثة، ومشاريع التنمية الكبرى وقد أتخذ معظمها علي عجل، مع القليل من المشاورات المحلية وعدم الشعور بالسياق التاريخي . ويبدو من المرجح أن تؤدي هذه المشاريع، علي الصعيد المحلي، إلي زيادة حدة المشاكل القائمة أو

العقائد الجديدة . ما بدا لإظهار نفسه هو أحدث صيغة لما أشـــار إليـــه جوزيـــف كونراد بتدخل القوي الخارجية في إفريقيا بأنه "غزو رائع" : مرحلة جديـــدة مـــن المشاركة الأجنبية في الشؤون الوطنية للسودان تحت رعاية مزيج من المصـــالح التجارية ، والنزعة الإنسانية، وبناء السلام، ومكافحة الإرهاب .

تم تصميم دورة السودان بحيث تقدم، من بين أمور أخري، نظرة انتقاديه علي هذه التطورات، استناداً إلي تحليل للدور الذي قامت به الدولة في التـــاريخ الســـوداني والحيلة التي طورتها بمرور الوقت لبسط سلطتها علي ضواحي البلـــد . وشـــملت الدورة النظر في تاريخ التنمية وأثر التدخلات الدولية السابقة . ولفت الانتباه إلـــي خطر تكرار أخطاء الماضي، والطرق التي يمكن أن تسهم بها المعونة والتنمية في اختلال التوازن السياسي .

بالنسبة لهذه الدورة التدريبية القصيرة يعتبر هذا أمر صعب للغاية . وتشمل حدود السودان تنوعاً هائلاً في الأراضي والشعوب وأساليب الحياة . سيكون مـــن غيـــر المعقول الإدعاء بأن الحدث الذي استمر أسبوعا واحداً يمكن أن يوفر فهما لبلد ما أو لشعبه . ومن الواضح أنها لم تفعل ذلك . وكانت الدورة التدريبية التي قـــدمت بمثابة المعرفة المفيدة والنهج التحليلي المتسق بقدر ما كان من الممكن احتوائها في ستة أيام من الدراسة المكثفة التي أجريت من الفجر إلي الغســـق . وقـــد عكـــس موظفو الدورة بالتأكيد تنوع المجال: وقد بدأ الأكاديميون والنشـــطاء مـــن جميـــع مناطق البلد تقريبا في الدورة الماضية في السنوات السبع الأخيرة، إلـــي جانـــب المغتربين المتخصصين الذين تختلف آراؤهم ومجال خبرتهم اختلافا متســـاويا . و علي الرغم من أن الدورة قصيرة، فإنه يقدم شيئا غير متوفر. ومـــن الواضـــح أن خطر الافتراض من جانب أولئك الذين يجعلون من عملهم لدراسة الســـودان قـــد يتجاوز خطر الجهل الأكبر– من خلال قمع حرية التعبير من جانب الحكومات في السودان ، من خلال اضمحلال المستويات في التعلـــيم العـــالي وفقـــدان الـــذاكرة المؤسسية علي الجبهة الدولية للمؤسسات وممثلي الدول المانحة . ويمكن القول في الواقع أن الذين كان لهم شرف العيش في الســـودان كبـــاحثين ودارســـين علـــيهم

الإلتزام بإيجاد سبل لنقل معارفهم إلي جيل جديد تتاح لهم الفرصة للتأثير في الأحداث المقبلة . وهذا هو تفكير أولئك الذين ابتكروا الدورة ودرسوها .

وفي السنوات التي تلت العام 2004م، تبخر تفاؤل نيفاشا وقد أصبح من الواضح أن المخاوف التي أدت إلي تأسيس مسار السودان كانت مبررة للغاية . وقد تم تقويض إتفاق السلام الشامل؛ إلي حد كبير بسبب الإستبداد الداخلي للنخب السياسية السودانية . وقد ولدت الحرب في دارفور، وغرب السودان، إلي تكرار أهوال الحرب في الجنوب . وقد أصبحت تسوية هذا الصراع في الغرب متشابكا مع عملية السلام بين الشمال الجنوب . اجهضت الإستجابة العالمية لاضمحلال النوايا السياسية الحسنة في السودان التي أعقبت اتفاقية السلام الشامل ، وكانت هناك إدانة واسعة النطاق للإجراءات التي اتخذتها حكومة السودان؛ وفي الوقت نفسه، زادت البلدان المانحة بدرجة كبيرة من مستويات المعونة. وقد وسعت الصين والدول الآسيوية الأخرى استثماراتها الرأس مالية. وعلي الخصوص في صناعة النفط في السودان، في حين أن مصر وغيرها من البلدان الشرق أوسطية تشارك في المشروعات الهيدرولوجية علي نطاق نهر النيل .

ولم يتضح أبدا أن مشاكل السودان تنبع من تمركز القوي الاقتصادية والسياسية في وسط البلاد ومن الوسائل المدمرة التي استخدمت للحفاظ علي تلك السلطة وبسطها. ومع ذلك فإن تنوع السودان هو أبرز معالمه ؛ ولا يمكن لأي نظام سياسي أن يحكمها دون الإعتراف بذلك، ويهدف الكتاب، بناءا علي ذلك، إلي تقديم عينات من المعرفة حول جميع مناطق الإقليم التي كانت تاريخيا يشكل السودان تاريخيا، والحقائق الثقافية والسياسية المتعددة في داخلها: الشعوب التي تعيش هناك، وماضيها وحاضرها، وعلاقتها بالحكومات المتعاقبة، أنه يقدم نقدا لطموحات الدولة ولممارسة السلطة السياسية، علي أمل أن يتم تعديل القصة الطويلة لسوء الحكم في السودان .

رسم خريطة السودان

إحدى طرق النظر إلي تاريخ السودان المستخدمة في الدورة الدراسية للسودان هي قصة الخرائط : من صنع الخرائط ؟ ، والجدل حولها ؟ ، وإعادة تشكيلها؟. ولا تبين خرائط السودان كيف تغيرت حدود البلد بمرور الزمن فحسب، ولكن كيف جاءت فكرة الدولة التي سميت بالسودان في الأونة الأخيرة كما تقدم رسم الخرائط استعارة موسعة لبناء المعرفة، وهي طريقة لفهم العديد من المعلومات حول البلاد التي تعرضها مختلف التخصصات، وعلاقتها بالحقائق التي يعيشها الشعب السوداني.

في أوائل القرن التاسع عشر ، عندما أرسل محمد علي باشا حاكم مصر جيوشه جنوبا ، لم يكن هناك اسم محدد للأراضي التي سيحتلونها. على مدى مئات السنين، كان الحزام الأفريقي جنوب الشمال المواز يعرف بشكل عام باسم بلاد السود، " أرض السود " ، ولكن على المساحات الفارغة إلى حد كبير من الخرائط التي أظهرت أراضي جنوب مصر كانت هناك أسماء متعددة – النوبة، كردفان، سنار، دارفور. لعدم وجود أي مصطلح عام آخر لوصف المجال الذي يتخذه محمد علي وأحفاده تدريجيًا، وبشكل غير منتظم ، من العشرينيات إلي السبعينيات من القرن التاسع عشر وهي المملكة التي شملت المراكز القديمة للحضارة في وادي النيل، وشملت صحراء الشمال والغابات الاستوائية والمستنقعات والسافنا من السكان العرب وغير العرب والمسلمين وغير المسلمين وسكان المدن والبدو والرحل والمزارعين المستقرين في غياب مصطلح للدلالة علي هذا المجال الشاسع، تسللت كلمة السودان إلي حيز الإستخدام ، أولاً في مصر ومن ثم في اروبا .

في عام 1880، عندما كتب الأوروبيون عن الدولة التي أنشأها المهدي بعد انهيار الحكم المصري، أطلقوا عليها اسم " السودان " – على الرغم من أن المهدي وأتباعه لم يستخدموا هذا المصطلح. في نهاية تسعينات القرن التاسع عشر، مع هزيمة المهدّيين وإنشاء الحكم الأنجليزي المصري، أصبح "السودان" ثابتًا كعنوان

لوحدة سياسية، حدودها محدودة جزئياً من المطالبات التاريخية لمصر، وعلي الفور بمزاعم بريطانية وبلجيكية وفرنسية وإثيوبية بالأرض المحيطة بها. لا تزال هناك العديد من المساحات الفارغة على الخرائط ؛ ولكن تمت كتابة كلمة السودان عبرها .

سواء كان السودان – أو ببساطة السودان ، كما يسمي الآن – يجب أن تظل الصورة الموضحة على هذه الخرائط موضوع نقاش متقطع منذ ذلك الحين.. وفي النصف الأول من القرن العشرين ، كان السؤال الرئيسي هو ما إذا كان ينبغي أن يكون السودان كيان منفصل علي الإطلاق ، أو يصبح جزءا من مصر الكبرى .

ومع تلاشي هذا الجدل ، بحدة بعد الاستقلال في الخمسينات ، ظهر الجدل ــ والنزاع العنيف ــ بدلاً من ذلك لتتمحور حول شكل السودان وطبيعته السياسية . هل يجب على السودان أن يدمج كل الأراضي التي تحكمها الدولة الأنجلو-مصرية ، أم أن هذا الافتعال الاستعماري سيتلاشى مع رحيل الحكام الأجانب الذين جلبوه ؟ إذا كان على الدولة أن تحافظ على الشكل الطبيعي للسودان الانجليزي- المصري ، فكيف يمكن أن تتخطى الحدود الاخلاقية ، المركزية الصارمة التي حافظت على الحكم الإمبراطوري ؟ و لقد إستمرت هذه الأسئلة لأكثر من خمسين عاما. وقد لاقت الدولة المركزية تحديا من الجنوب والغرب والشرق . واليوم ، تكونت دولة السودان من خلال أعمال التوسع الإمبريالي في القرن التاسع عشر ، بعد أن فشلت في الهروب من تراثها السلطوي ، التي لم تعد موجودة .

لكن ذلك لن ينهي الأسئلة حول أين يجب رسم الخطوط على الخرائط ، أو على ماذا يمكن السودان ، أو كانت ، أو، أو ينبغي أن يكون كذلك . إن إرث رسم الخرائط هي عملية معقدة . لم يكن مخطط السودان محددة علي الخريطة تمامًا بحلول عام 1900: في أوائل القرن العشرين ، كان "لادو إنكلاف" في الجنوب الغربي ، والذي كان لفترة وجيزة لاقت إهتماماً شخصيًا للملك ليوبولد ملك بلجيكا، حاكم دولة الكونغو الديمقراطية . التي أصبحت جزءًا من السودان ؛ في عام

1916 ، تم دمج سلطنة دارفور الغربية ، التي حافظت على استقلالها بشكل تام والتي كانت تحت الحكم المصري لفترة قصيرة ، والتي تم دمجها عنوة إلي"السودان" على يد البريطانيين.

في الثلاثينات من القرن الماضي ، تم منح جزء من الأراضي في الشمال الغربي لإيطاليا المستعمرة الليبية . وحتى الآن ، لا تزال الحدود السودانية في أقصى الشمال الشرقي والجنوب الشرقي ، موضع نزاع ، في مثلث حلايب ومثلث إليمي ، الذي يطالب به السودان رسمياً ، وتسيطر عليه مصر وكينيا على التوالي .

وداخل تلك الحدود ، كانت هناك أيضًا نزاعات متعددة . بما أن المساحات الموجودة على الخرائط قد تم ملؤها – مع خطوط الأنهار والتلال ، والحدود الإدارية الداخلية ، وأسماء المستوطنات ، والأراضي في مجتمعات معينة – فإن تراكم وتسجيل المعرفة كان بمثابة خلق نوع من العنف . ، كما الحال هنا و في أي مكان آخر ، كانت الخرائط أداة أساسية للحكومة : من أجل الإدارة ، والنظام ، والتحكم ، ومن شأنها تحقيق طموحات الدولة لتغيير حياة الناس من خلال تقديم الخدمات .

سارعت الحكومة الأنجلو– مصرية إلى إنشاء بعثة استقصائية ، كانت قد أعدت بحلول الثلاثينيات خرائط لكل السودان . وحتى وقت قريب نسبياً ، كانت هذه الخرائط لا تزال أفضل ما هو متاح للبلاد . وقد جعلت التخطيط الإدارة أمراً ممكنًا ولكن مشروع رسم الخرائط لم تكن أبدا رمزا للمعرفة .

لقد تم تغيير وتشويه الأسماء – والمساحات التي وصفوها ، حيث كان الغرباء (سواء كانوا أوروبيين أو مصريين أو أناس من أجزاء أخرى من السودان) يعانون من النطق والهجاء ، أو بوجود مطالبات متنافسة علي الارضمن جوانب مختلفة المجتمعات . يمكن أن يكون رسم الخرائط عملية نزع ملكية فعلية : قد تجد مجتمعات بأكملها أن الخرائط تضللها أو تحذفها ، وتعرِّض استخدامهم الثابت للأراضي أو المياه للخطر .

ويمكن أن يشمل ذلك أيضاً استنفاداً اجتماعياً أو ثقافياً : قد يتم طمس اسم التل الذي تعيش فيه ، عن قصد أو عن غير قصد ، من قبل رسامي الخرائط لصالح الاسم الذي يطلقه عليه جارك ، وهي مجموعة عرقية لديها أعضاء أكثر تعليماً وتأثيرًا إداريًا – وأخذ الأفكار التوسعية . أو قد يجد مجتمعك نفسه محصوراً بشكل تعسفي – من خلال رسم خط على الخريطة – إلى وحدة إدارية مع أشخاص آخرين تختلف حياتهم ولغتهم كثيراً .

أصبحت الخرائط مرة أخرى في قلب المناقشات السياسية حول مستقبل السودان اليوم. لقد أظهرت الجدل حول الخط الفاصل بين شمال وجنوب السودان قوة وطبيعة رسم الخرائط على حد سواء . عندما نص اتفاق السلام الشامل على تسوية نزاع أبيي من خلال لجنة تحدد حدود ولاية نقوك التي نقلت إلى كردفان في عام 1905 ، فقد اعترف كلاهما بالقدرة المحتملة للخرائط وأظهر إيمانًا خاطئًا في مدى صلاحيتهما. لم تكن هناك خرائط تبين تلك الحدود كما كانت ؛ وعندما حاولت اللجنة المختارة إنشاء واحدة كأساس للحكم ، تم رفضها على أنها غير دقيقة . كما أشار اتفاق السلام الشامل إلى حدود المقاطعات في 1 يناير 1956 باعتبارها خطاً بين الشمال والجنوب – وهو الخط الذي قد يصبح حدوداً دولية . اختيار الموعد ، والتعريف ، أعطى أولئك الذين صاغوا الاتفاقية شعورًا بأنهم اتخذوا قراراً لا لبس فيه ، مصدقًا عليه من سلطة الخريطة . لكن هذا الخط غير مؤكد، بسبب وجود تغييرات طفيفة متعددة في الحدود الإدارية على مر السنين ، وبسبب التشويش والأخطاء في خرائط الخمسينيات ، والتي تجعل من التحديد الدقيق للمشكلة صعبا. ستستغرق الحدود الدقيقة بين الشمال والجنوب وقتا طويلا للاتفاق عليها . إن الخلاف حول هذا الخط وغيره من النزاعات الحدودية القائمة بين السودان ومصر وإثيوبيا وكينيا ، تعني أن شكل السودان قد أصبح مشكلة مرة أخرى .

المعرفة المحلية والقوة العالمية

توضح قصة خرائط السودان إيضا مشكلة المعرفة نفسها. إنه تذكير بأن تقنيات تطوير جمع المعلومات – البوصلة والحكم والعرف، واللوحة الطبوغرافية ، اليداد (مسح طبوغرافي مؤثر علي اللوحة الطبوغرافية) ، والمسح الجوي وصورة القمر الاصطناعي – تمكن في علاقة توتر مع المعرفة المحلية ، مع فهم السكان الأصليين للحقوق في الأرض والموارد الطبيعية ، و المعاني المعطاة لميزات العالم الطبيعي . إن التوفيق بين هذين الشكلين من المعرفة هو عملية مشابهة لما يسميه رسامو الخرائط "عملية الحفر الأرضي" – وهي عملية المشي على الأرض ومناقشة معالمها مع من يعيشون هناك . هذه العملية فقط هي التي يمكنها تحويل خطوط الطول والعرض والمعالم والخطوط الحدودية إلى منظر يمكن التعرف عليه لأولئك الذين يعيشون فيه .

غالباً ما يتم إهمال أعمال التعرف على المكان وسكانه من قبل وكلاء التطوير ومسؤولي المعونة والموظفين الحكوميين في عجلة من أمرهم لإنهاء المسح ، أو إكمال المشروع . والأخطاء المستمرة في رسم الخرائط ، من ناحية ، والفشل طويل الأجل للمشاريع ، من ناحية أخرى ، هي نتيجة لذلك التسرع . عملية حفر الأرض يستغرق وقتًا طويلاً ؛ وهي لا تخلو من مناطق الغموض الخاصة بها. وبالتالي قد تكون هناك حقائق متضاربة على الأرض : طرق مختلفة لرؤية المشهد. أكثر من اسم لنفس الميزة ؛ وأكثر من مطالبة واحدة لمنطقة واحدة من الأرض. الخرائط التي تُظهر الفهم المحلي للمناظر الطبيعية أكثر تعقيدًا من تلك التي تفرض الحدود والأسماء ببساطة . وبرامج التنمية التي تعمل على المدى الطويل مع المؤسسات المحلية أصعب بكثير في تصميمها وصيانتها .

على النقيض من ذلك ، اتسم التاريخ الاقتصادي للسودان في العصر الحديث بتدخلات حكومية من أعلى إلى أسفل . وقد صممت ظاهريا لتحسينها وجعلها أكثر إنتاجا. لقد تباين مدى الطموحات الحكومية ، لكن مسؤولو الأنظمة المتعاقبة اعتقدوا جميعًا أنهم يمتلكون أنواعًا من المعرفة تفوق المعرفة المحلية ؛ هي تلك

الأنواع من المعرفة التي أطلعت سياساتها وأعطتها الحق في الإرشاد ، التملــق ، والإكراه أحيانا ، وإعادة تشكيل الأرض . المشروع الإمبراطوري ، ومشاريع بناء الدولة التي خلفته – في السودان كما في أي مكان آخر – أدرجت رسم الخــرائط كعنصر في فرض النظام على الأماكن والسكان الخاضعين لســيطرتها . تكشــف الخرائط عن الطابع الاستبدادي للمشروع . و الهدف هو التحول. والافتــراض ، في كثير من الأحيان ، هو معرفة متفوقة لموظف الحكومة أو المستشار التقني .

في عهد السيادة المشتركة ، أنتجت حكومة السودان الأنجلو– مصــري تقويمًــا ، وهو عبارة عن كتاب مرجعي صغير لاستخدام المسؤولين . تضمنت المعلومــات في التقويم علي الأوزان والمقاييس والرتب والألقاب وأوقات السفر وتكاليف البريد . كما يمكن للمسؤول أن يجد تعليمات لبناء منصة ليأخذ التحية من موضوعه ، أو تفاصيل قوة الإختراق للرصاص .303 طلقة في نطاقات مختلفة . كــان التقــويم عبارة عن دليل موجز للمعرفة التي تم من خلالها الحكم على السودان وشــعبه : عملي في صلته بمهام الإدارة ، وفي الوقت نفسه يطمئن إلــى تلــك التــي كــان المقصود بها في استحضار نظام المعرفة التي وصلت إلى أبعد من السودان نفسه . مع الخريطة في اليد والتقويم في الجيب ، كان المسؤول في موضع سفر متنقل . بالطبع ، لم تكن "التقويم" تحتوي على جميع المعلومات التي قد يحتاجها المسؤول. كانت المعرفة المحلية مطلوبة أحيانًا للمساعدة في تنفيذ مشروعات التغيير ، سواء كانت تشمل تحصيل الضرائب أو إقامة سوق أو فرض قوانين جديدة . قد يحتــاج المسؤول إلى معرفة من كان يعيش في مكان ما ، أو اسم النهر ، أو الوقــت مــن العام عندما زرع الناس محاصيل معينة ، واستخدموا ملاحظات كثيرة على مثــل هذه الأشياء . غير أن طبيعة المشروع قد تم تحديدها من خلال المعرفة المتفوقــة التي قدمتها الدولة وخبرائها ، تمامًا كتحديد العناصر المحددة للخريطــة – وهــي الحاجة إلى الحدود والأسماء التي لا لبس فيها والنقاط والخطوط – فــي أمــاكن أخرى .

لم يعد التقويم الذي يحمله مسؤولو السيادة المشتركة منتشراً أكثر من ذلك ، لكن الأجيال المتعاقبة من المسؤولين والخبراء استمروا في استخدام المصادر الخارجية للمعرفة المنهجية بطريقة لا تختلف ، ولا سيما في المناطق الريفية في السودان . ولا يزال الخبراء يأتون من الخارج– من بريطانيا أو مصر ، كما في الأجيال السابقة – أو من الولايات المتحدة أو الصين أو الهند . وبشكل متزايد ، يأتون من داخل السودان نفسه ، هذا لا يعني أن المشاريع التي يصممها المتخصصون السودانيون يتم وضعها في أي مشاورات أكثر إنتاجية مع المجتمعات التي تؤثر فيها. ومن المرجح أن تستدعي لغة مثل هذه المشاريع فكرة التنمية الوطنية ، أو ضرورة عالمية خيرية ، أو روح الاستغلال الاستغلالية للموارد . وقد يؤكد على الحاجة إلى كسب النقد الأجنبي ، أو زيادة الإيرادات من الضرائب ، أو ضمان الأمن الغذائي ، أو توفير الخدمات الصحية . ما تفعل هذه المشاريع نادرا هو الضغط على المعرفة المحلية وتقرير المصير. لا تزال معظم مشاريع التنمية في السودان مقتادة من قبل الدولة التي ترى رعاياها من مسافة بعيدة : فهي مشاريع واسعة النطاق مدفوعة بالاحتياجات الملحة للدولة للحصول على الموارد والعائدات ، بحيث يتم إجبارها من دون تشاور ؛ السدود وحفر آبار النفط وخطوط الأنابيب المرسومة على المساحات في الخرائط ، المفروضة على المناظر الطبيعية ، ثم سجلت بواسطة خرائط جديدة . وهناك مشاريع أخرى ابتكرتها وكالات دولية ترى عملها كمسألة تتعلق بالحد من الفقر على مستوى العالم وعملائها كأعضاء غير متحيزين لطبقة المحتاجين . لكن الفقر الذي يسعون إلى تخفيفه يعود إلى حد كبير إلى سياسات الحكومات التي تعمل تحت رعايتها . إن التدخل الفعال في مثل هذا الوضع المفرط يحتاج إلى أن يكون على علم من خلال فهم دقيق للمجالات المحلية وإمكانيات التنمية الطويلة الاجل . ولا يمكن تحقيق الاستدامة إلا في هذه العلاقة بين المعرفة المحلية والمعلومات العالمية .

ومع ذلك ، يعول الخبراء الدوليون بشكل كبير على النسيان. إن ماضي السودان مليء بمشاريع التنمية . وقد اختفت البعض دون ترك أي ، وبعضها الآخر ولدت

نسل الوحشية ، مثل مخططات الزراعة الآلية في الشرق والحزام المركزي ،تـــم تصور هذه الأمور على أنها الطريق إلى الأمن الغذائي والازدهار ، ولكن بدلاً من ذلك ولدت عدم الأمان والنزاعات عبر مساحات شاسعة من الأرض . نادرا ما يتم النظر في تاريخ التدخلات الإنمائية الضارة .وعدد قليل من الخبراء على اســتعداد لتحديد موقع أنفسهم في هذا التاريخ من الفشل والعواقب غير المقصودة . بالنســبة لهم، غالباً ما يُنظر إلى تاريخ السودان ببساطة على أنه قصة صراعات ناتجة عن تنافس محلي ، ربما بين مجموعة عرقية وأخرى ، عادةً ما تكون على المــوارد ، أحياناً على الدين ، والتي اجتاهت على الرغم من أفضــل الجهــود والتــدخلات الحميدة لتسويتها . يتم اعتبار هذا التاريخ على أنه " تــابولا راســا " (الصــفحة البيضاء) .

لقد كان التقويم القديم مهماً للمسؤولين الاستعماريين ، ليس لمجرد أنه قــدم لهــم معلومات مفيدة ؛ ولكن بشكل جوهري أكثر ، لأنها قدمت الطمأنينة بأنهم ينتمــون إلى نظام المعرفة المتسق داخليا والذي تجاوز المجتمعات التي يحكمونهــا ، تلــك التي لم تكن مقيدة بالتاريخ المحلي المعقد الذي وجدوا أنفسهم يتــدخلون فيــه دون علمهم .منحهم الثقة والاعتقاد بالنفس – بالاقتران مع وصولهم إلى تقنيات الاتصال المتفوقة، وفي بعض الأحيان ، الإكراه العنيف . لقد جعل هذا النوع من التعزيــز الإيديولوجي أجيالًا من الخبراء أقوياء . الوعي بأن هنــاك أنواعًــا أخــرى مــن المعرفة – أنه قد يكون هناك أكثر من نوع واحد من الرؤساء ، وأن النهــر لــه أسماء مختلفة ، وأن تحركات الناس عبر المشهد تتبع منطقًا خاصًا بهم ، وأنهم قد لا يدينون بأي ولاء للحكم -أي سلطة أو أي قوة أخرى – مثل هذا الــوعي مــن شأنه أن يعقد كل من حياة الخبراء وحكم الطفاة .

إن الجدل حول الشكل الذي يجب أن يكون عليه السودان ، وحول العلاقــة بــين الدولة وشعبها قد ميز النقاش السياسي في السودان منذ فترة طويلة قبل الاستقلال . ترتبط مثل هذه المناقشات بقول التاريخ وإعادة ســرده ، حيــث يشــرح النــاس ويبررون ويقدمون مطالبات من خلال الرجوع إلى الماضي . في الجنوب ، يــتم

تمثيل التاريخ الحديث للسودان كتاريخ من الفرص الضائعة والاتفاقات مع الحكومة في الخرطوم التي تم إهانتها بشكل متكرر . قبل ذلك ، بالنسبة إلى العديد من الجنوبيين ، تعتبر قصة السودان هي قصة العبودية ، من نهب القرن التاسع عشر للمغتربين من الشمال .لكن بين سكان شمال النهر ، تختلف القصة . هنا العبيد غير مرئيين . القصة الرئيسية هي الصراع من أجل الاستقلال عن القوى الخارجية – الخارجية ، أي إلى البلد الذي لم يصبح دولة السودان . وهكذا ، في الخرطوم ، يتم تدريب أطفال المدارس الابتدائية على إعادة تمثيل قصة الملك نمر ، القائد التقليدي الذي قتل الابن المستبد لمحمد علي حاكم مصر في عام 1822 .نشأ أطفال المدارس هؤلاء في بلد منقسم ، يتدربون على ما يُرى في الشمال – أو في أجزاء من الشمال – باعتباره اللحظة الموحدة في تاريخ القومية السودانية . مع ذلك ، عاش الملك نمر نفسه قبل أن يكون هناك أي مكان يسمى السودان وليس لديه فكرة عن السودان ، أو أنه سوداني . وفي جنوب السودان ، لم يسمع عنه سوى عدد قليل من الناس. نسخة من التاريخ السوداني الذي يحتفل بفكرة الدولة الموحدة ، التي شكلتها المواجهة مع الاستعمار المصري والبريطاني ، تم تسجيلها على خريطة الخرطوم ، حيث أن أسماء الشوارع هي عبارة عن شخصيات من النسخة القومية الشمالية للتاريخ: الجنرالات المهدية ، القادة الطائفيين في أوائل القرن العشرين وشباب حركة جمعية اللواء الأبيض الذين أعلنوا عن مقاومتهم للحكم البريطاني في العشرينات من القرن العشرين. لكن ليس كل الذين يعيشون في السودان لديهم إحساس بأهمية هذه الأسماء . في الخرطوم ، قد يكون اسم أبو قرجة مرادفا للنضال الوطني البطولي ضد مصر أو إثيوبيا. لكن في جبال النوبة تثير حلقة قاتمة أخرى في تاريخ عنف الدولة . في الاستوائي لا يعني شيئا. بالنسبة للجنوبيين ، بالنسبة للشماليين لا يخطر بأذهانهم بأن شارع الزبير باشا تعتبر شخصية وطنية كبيرة ، بل هو تاجر عبيد .

لقد كان المشروع الإسلامي في ثمانينيات القرن العشرين محاولة لفرض نوع جديد من الهوية الوطنية على السودان ، وهو ما إعتبر التنوع الديني والثقافي في البلاد

بمثابة شيء يمكن التغلب عليه باسم نظام معتقد واحد موحد . وأشاد بعض المفكرين الإسلاميين عام 1989 بلحظة التحرير النهائي من الحكم الاستعماري ، وألقوا باللوم على متاعب البلاد بعد الاستقلال على السلطة المفسدة للإمبريالية الغربية العلمانية التي سعت إلى مواصلة سيطرتها على البلاد . لكن بالنسبة إلى معظم الجنوبيين وكثير من الشماليين ، كانت الرؤية الإسلامية للبلاد لعنة ، مما حرمهم من قيمة ثقافتهم ومعنى تجربتهم التاريخية. كانت الحرب الأهلية في جنوب السودان تسمى حرب الرؤى .

قد يقال إن السودان ليس له تاريخ واحد . أو لديها أنواع متعددة ، وهي صدمة من الإصدارات المتنافسة لما هو مهم بالماضي . التنوع في السودان لا يقتصر على الوفرة الكبيرة للمجتمعات واللغات والأنظمة العقائدية وطرق الحياة التي يحتويها. كما يتضمن تنوعًا جوهريا في الأفكار حول ما هو السودان الأمر الذي قد يضمره أفراد هذه المجتمعات . هي تاريخ مختلف ، وطرق مختلفة لفهم علاقة بعض المجتمعات بمراكز السلطة والحكومات التي حاولت فرض سيطرتها عليها – هذه التواريخ تلعب دوراً رئيسيا في التحول الحالي للدولة السودانية .

وبينما يدخل السودان مرحلة جديدة من إعادة الهيكلة السياسية والإدارية الثورية ، يصبح من المهم أكثر من أي وقت مضى فهم التاريخ المتغير الموجود في أذهان السودانيين أنفسهم . من الواضح أن هناك الكثير من السودانيين ، سواء الحقيقيين أو الأساطير – والعديد من السودانيين المحتملين . لا يمكنهم تفسير هذه الرؤى العديدة للبلاد . لا يطمح دليل السودان أن يكون تقويمًا جديدًا . فهي لا تقدم حسابًا منتظمًا للبلد ، ولا تقدم معلومات في نموذج يُقصد تطبيقها على تصميم مشاريع التطوير. انما يقدمه يقدمه ، هو روح المشاركة مع الرؤى السودانية للمستقبل هو دليل مهم للمعرفة الحالية ، ومجموعة من المقالات حول الجوانب الرئيسية للبلاد ، مكتوبة من مجموعة من وجهات النظر الصارمة. في هذه المقالات توجد مجموعة متنوعة من وجهات النظر حول الماضي والحاضر للأراضي التي تقع ضمن الحدود التاريخية للسودان – والشعوب التي عاشت وما زالت تعيش هناك .

2 الأرض والماء : جوستين ويليس ، عمر عجيمي & فيليب وينتر :

كانت السيادة المشتركة الانجليزية المصرية في السودان هي أكبر الوحدات السياسية التي أنشأتها الإمبريالية في أفريقيا. لقد نمت وتقلصت قليلاً مع مرور الوقت ، كسبت دارفور عام 1916 وفقدت جزء منها أمام إيطاليا التي كانت تخضع ليبيا لحكمها في عام 1934 ، ليصبح حجمها الإجمالي أقل بقليل من مليون ميل مربع (2.4 مليون كيلومتر مربع). لكن المنطقة التي تسيطر عليها ، على الأقل اسمياً ، من قبل الدولة السودانية ظلت – حتى عام 2011 – أكبر من تلك التي تحكمها أي حكومة أفريقية أخرى .

تم تقسيم المسعمرة في مجملها إلي تسع مقاطعات . تم اعتبار ستة منها "شماليًا" ، بينما تم اعتبار الثلاثة الآخرين "جنوبيًا". وتم تقسيم هذه المقاطعات في سبعينيات القرن الماضي ، حيث أعيدت لفترة وجيزة كدول ضمن إعادة الهيكلة الإدارية الرئيسية في عام 1991 ، ثم قسمت مرة أخرى في عام 1994 ، ضمن سياق إعادة هيكلة أخرى أنتجت 26 ولاية . (واحد من هؤلاء ، غرب كردفان ، التي تم دمجها لاحقاً إلى اثنين من الولايات). على الرغم من أن نظام الدولة في السودان ظل قائمًا منذ عقدين من الزمان ، إلا أنه ليس من غير المألوف أن نسمع الناس يستخدمون النظام القديم في تسع مقاطعات. تتراوح التضاريس التي تغطيها هذه الولايات والمحافظات من الصحراء النوبية في أقصى الشمال – الامتداد الشرقي الأقصى للصحراء ، حيث لا يوجد أي هطول للأمطار – إلى المستنقعات والغابات على بعد آلاف الأميال (1600 كيلومتر) جنوبًا ، حيث يصل تضخم مياه الأمطار الموسمية سنوياً إلى 200 سم ، وتجلب الفيضانات وتغذي مستنقعًا دائمًا في السهول الجنوبية الوسطى . في أقصى الشمال ، في أقصى الشمال ، على طول الثانية والعشرين الموازية لحدود السودان مع مصر ؛ و في الجنوب ، حول التوازي الرابع ، إلى الشمال مباشرة من خط الاستواء ، تسير مع بلدان شرق ووسط أفريقيا .

وتربط المنطقتين النيل . يتدفق النيل الأبيض من مصدره في رواندا وأوغندا إلى الجزء الجنوبي من السودان ، حيث يُعرف باسم بحر الجبل ، وهو نهر الجبل .

الذي يتدفق في جوبا ، عاصمة الجنوب ، ومن ثم يتبطئ وينتشر في مستنقعات سود (اسم مشتق من الكلمة العربية العقبة). وبينما يتدفق بحر الجبل عبر سود ، يتغذى عليه عدد من الأنهار الأخرى ، وأهمها بحر الغزال ، الذي تم إنشاؤه بواسطة المجاري المائية لنهر النيل- الكونغو. يبدأ النيل الأبيض بالإنسياب عندما يلتقي بحر الغزال مع بحر الجبل . يلتقي مع نهر سوبات ، آخر الروافد الجنوبية ، يلتقي بالنيل الأبيض في ملكال حاملاً معه المياه من إثيوبيا . بعد ملكال لا ينقطع النهر حتى يصل إلى سد جبل أولياء جنوب الخرطوم . ثم ، في الخرطوم ، حيث يلتقي النيل الأزرق ، الذي يتدفق من إثيوبيا ، والتي تحمل ، على مدار العام ، مياه أكثر من النيل الأبيض نفسه . من هنا يصبح النهر شريطًا أخضر ، مع زراعة مكثفة لميل واحد أو اثنين من كل جانب ، والصحراء وراءها وتتخلل المناطق المزروعة مساحات صخرية شديدة الانحدار بحيث تصعب زراعته . لا يوجد في النيل روافد كبيرة بعد نهر عطبرة ، الذي ينضم إليه على بعد مئات الأميال شمال الخرطوم ، قبل الانعطاف الكبير الذي يأخذ النيل في حلقة عبر الصحراء النوبية . من عطبرة عبر الصحراء يتدفق النهر وحده لألف ميل حتى يصل إلى بحيرة ناصر ، ومن ثم إلى المنحدر المصري والبحر الأبيض المتوسط . بين الخرطوم والحدود المصرية هناك العديد من المياه البيضاء – المنحدرات والجبال التي تحد من قابلية الملاحة في النهر . خمسة من المياه البيضاء الستة كانت – في السودان . أما الشلال الثاني فقد ظل تحت مياه بحيرة ناصر منذ بناء السد العالي في أسوان في الستينيات. وقد تم غمر الشلال الرابع بالقرب من مروي من قبل بناء سد حمداب أو مروي .

إن الحصول على المياه له أهمية حيوية سواء بالنسبة للوجود اليومي للمزارعين السودانيين والرعاة وللتنمية الاقتصادية التي ترعاها الدولة على نطاق واسع . بالنسبة لأولئك الذين يعتمدون على المحاصيل أو الرعي فهي مسألة حياة . وعلى مستوى الدولة ، فإن المشاريع الهيدرولوجية العملاقة مثل سد حمداب ، وسد الرصيرص على النيل الأزرق تحمل الوعد بالكهرباء المائية والتنمية الزراعية من خلال مشاريع الري ، ولكن هذه المشاريع غالباً ما كان لها آثار مدمرة على

السكان المحليين . علاوة على ذلك ، في مجال العلاقات الدولية ، هيمنت السياسة المائية على علاقات السودان مع مصر منذ فترة طويلة ، حيث أن عـدد سـكان مصر ، الذي يبلغ 80 مليون نسمة أكثر من ضعف حجم السودان ، يعتمد بالكامل على تدفق النهر لجلب المياه و الطمي الغريني إلى المناطق الزراعية فـي دلتـا النيل.

الطبيعة والتاريخ :

يبدو أن الجغرافيا السودانية ، مثل تاريخها ، يهيمن عليهـا النيـل . فـي شـمال السودان، يعيش معظم السكان الآن على طول النهر ؛ حيث تتمركز المدن الكبرى والصناعة والثروة والقوة كلها متداولة هناك . تعتبر الخرطوم العاصمة الكبري ، عند تقاطع النيل الأزرق والأبيض – التي تضم ثلاث مـدن هـي الخرطـوم ، الخرطوم شمال وأمدرمان والمخيمات والأحياء الفقيرة المحيطة بها – هو أكبـر مركز حضري في البلاد . سيكون من السهل الاعتقاد بأن هذا النمط من التنميـة هو نتيجة لا مفر منها للمشهد الطبيعي . لكن هذا الأمر لم يعد حتمياً أكثـر مـن شكل السودان نفسه: جغرافيا السودان هي نتاج عوامل سياسية وتاريخية ، فضـلاً عن الظروف التي تفرضها الطبيعة .

على الرغم من كونه كبيرًا في المنطقة ، لم يكن السودان مكتظًا بالسـكان . تـم تقدير عدد السكان في عام 1903 بأقل من مليوني نسمة – وهو رقم ربمـا كـان منخفضًا بشكل متعمد من قبل المسؤولين البريطانيين الذين كانوا متلهفين إلى تأكيد فقدان الحياة في ظل حكم المهدية . وفي غضون بضع سنوات تم تعديل التقديرات السكانية بسرعة ، وفي عام 1955–1956 كانت الأولى – وآخر إحصاء معقول لكل السودان حيث تم تقديرعدد السكان فوق 10 ملايين . 39 في المائة من هؤلاء يعتبرون أنفسهم ، وفقا للتعداد ، كأعضاء في القبائل العربية ، و 51 فـي المائـة يتحدثون العربية بإعتبارها لغتهم الأم . وقد سجل أحدث إحصاء للسكان في عـام 2008 بتعداد بلغ 39 مليون نسمة ، لكن من المحتمل أنه يخلو من عدد السـكان في كل من دارفور (التي بلغت 7.5 مليون نسمة) وجنوب السودان (8.2 مليون)، إما نتيجة لخلل في جمع البيانات أو التلاعب بالنتائج . إن عدم اليقين بشأن عـدد

الأشخاص الذين يعيشون بالفعل في السودان هو المثال الأبرز لتكرر المشكلة : في السودان ، الإحصاءات غير موثوقة بشكل عام ، أو متنازع عليها ، أو كليهما .
ومع ذلك يوجد الكثير من السكان في السودان اليوم ، هناك أمر واحد واضح : إنهم يعتمدون بشكل كبير على الاقتصاد الزراعي والرعوي . قد يبدو هذا التأكيد مفاجئًا ، نظرًا للأهمية الاقتصادية الظاهرية لصناعة النفط ؛ لكن القليل من السودانيين يعيشون من أرباح النفط . انهم يعيشون من المحاصيل التي يزرعونها (الذرة بشكل رئيسي– درة بالعربية – والدخن والقمح ورعي القطعان (الجمال والماشية والأغنام والماعز) . تعتبر الزراعة وتربية المواشي من الأنشطة الهامة في جميع أنحاء السودان . حتى أقصى الشمال الغربي ، نحو الحدود الليبية ، وهي أرض قاحلة صحراوية ، تلعب دوراً هاما في استراتيجيات كسب الرزق : إن رعاة الجمال الذين يقضون معظم العام في كردفان يرعون قطعانهم نحو هذه الأراضي البعيدة للحصول علي المرعي ، الرعي القصير الذي تقدمه كمية الأمطار القليلة التي تهطل هناك ، والتي يتغذي عليها الإبل في موسم التكاثر. في كردفان نفسها وفي دارفور ، حتى في المناطق التي يبدو فيها هطول الأمطار السنوي ضئيلاً ، هناك زراعة ؛ يزرع الناس موسميًا على طول حافة مجاري المياه ؛ للاستفادة من المطر عندما تهطل . وهم ينقلون مواشيهم حيث يكون المرعي: موسميًا ، يتبعون الأنماط الثابتة موسميا ، ولكن أيضًا بشكل انتهازي . وهكذا ، حتى في المناطق التي يبدو فيها هطول الأمطار السنوي منخفضًا نسبيا ، يمكن للناس العيش من الأرض ومن قطعانهم. للقيام بذلك بنجاح على مدى فترة طويلة يتطلب درجة من المرونة ؛ القدرة على تحريك قطعان الماشية ، أو زرعها في اماكان هطول المطر. كما كانت القدرة على التحرك والاستفادة من أنواع مختلفة من الأراضي مهمة لأولئك الذين يعيشون في الجبال وحولها. وللذين يعيشون في تلال النوبة في جنوب كردفان – وليس كمجموعة واحدة ، لغويا أو ثقافيا ، بل كمجموعات صغيرة ومختلفة – تضمنت إستراتيجيات كسب العيش الأكثر نجاحاً مجموعة من قطع الأراضي الزراعية حول منازلهم على التلال ، وزراعة الحبوب موسمياً في الحقول الأكبر في السهول . بالنسبة للرعاة ، هنا

وفي أي مكان آخر ، الذين يحتاجون لنقل قطعانهم موسمياً من أجل العيش ، شجعت استراتيجية الرعي المتسرعة هذه المفاهيم الجماعية المستندة إلى الأقارب في حيازة الأراضي والتي تشدد على حقوق الاستخدام العرضي بدلاً من الملكية الكاملة للأرض عن طريق الأفراد . كان الموضوع المتسق في تاريخ السودان الحديث هو التوتر بين هذه الاستراتيجيات المرنة لاستخدام الأراضي والمطالب الجديدة للحدود الإدارية والملكية الفردية والاستثمار في ريادة الأعمال .

في الغالب ، في السودان ، وفي الجنوب ، كلما زاد المطر. هذه القاعدة ليست ثابتة. وكلما وجدت أرضي مرتفعة هناك المزيد من الأمطار ، حول جبل مرة في دارفور أو في جبال النوبة ، على سبيل المثال ؛ والمنطقة الجنوبية الشرقية من السودان قاحلة نسبيا. ولكن بشكل عام ، يزداد إجمالي كمية الأمطار ومدى انتشارها خلال العام في الجنوب . منطقة المحافظات الجنوبية الثلاث القديمة – أعالي النيل وبحر الغزال وإكواتوريا – أكثر خضرة بشكل عام من الشمال. يقع الجزء الأكثر غزارة من السودان على حدوده مع جمهورية الكونغو الديمقراطية وجمهورية أفريقيا الوسطى . في كل مكان ، يكون فيه المطر موسميًا ، وهناك بعض الأشهر التي من المحتمل أن تشهد أمطارًا أكثر من غيرها – حتى في الجنوب الغربي ، حيث من المحتمل في أي شهر ، أي ليست هناك موسم محدد للمطر. هذا هو نتاج منطقة التقارب فيما بين المناطق المدارية ، مكان الالتقاء المتحرك لتيارات الهواء العالية الارتفاع .

هناك أيضا فروق ذات دلالة إحصائية من أنواع التربة ، والتي تتحد مع نمط هطول الأمطار لإنتاج أنواع مختلفة من النباتات . من الشمال إلى الجنوب ، على وجه التقريب ، تتغير التربة من الرملية إلى الطين إلى التربة الصلصالية الصلبة ، المعروفة باسم الحديد . أما في الجنوب ، فإن التمييز بين هضبة الحجر الحديدي في الجنوب الغربي والتربة القطنية السوداء الطينية المليئة بالفيضانات التي تقع نحو الشرق والشمال منها هو أمرٌ ملفت للنظر و يؤثر على الغطاء النباتي وإمكانيات الحركة . يتضخم القطن الأسود وينمو لزجة في المطر. تتقلص وتشقق لأنها تجف. السهول الطينية في قلب الجنوب هي إلى حد كبير أراضي عشبية . و

هنا يكون السفر صعبًا جدًا عندما تكون الأمطار غزيرة . هضبة الحجر الحديدي ممتلئة بالأشجار والحركة فيها أسهل .

الطبيعية والتكنولوجيا

على مدار المائة عام الأخيرة في معظم أنحاء السودان ، أعاد التدخل البشري تشكيل المناظر الطبيعية وإمكانيات الحركة والاتصال . كانت السكك الحديدية وخطوط التلغراف أول الابتكارات ؛ في ظل الحكم التركى المصرى فى القرن التاسع عشر ، وصل خط التلغراف إلي الخرطوم من القاهرة . لم يحرز بناء السكك الحديدية من جنوب مصر إلى السودان تقدمًا كبيرًا في ظل الحكم التركي المصري ؛ لكن الغزو الأنجليزي- المصري ،(إعادة الإحتلا 1896 – 98) توالت إلى الأمام على القضبان الحديدية التي كانت تحمل القطار البخاري. في غضون بضع سنوات من إنشاء المجمع السكني ، تم ربط محطة لبناء السكك الحديدية بالخرطوم مع مصر ، مع ميناء البحر الأحمر الجديد في بورتسودان ، ومع عاصمة إقليم كردفان الأبيض. في الخمسينيات وأوائل الستينيات ، قيام محطة أخري للاستثمارات السكك الحديدية إلى نيالا في عام 1959 ، وبعد ثلاث سنوات ، إلى واو ، في الجنوب . (اليوم ، هناك خطط ، لم تتحقق بعد ، لربط جنوب شرق أفريقيا بالسكك الحديدية) .

مثل النظام السياسي ، وضعت السكك الحديدية شمال السودان النهري في المركز. كان على الجميع المرور عبر الخرطوم ، كما أن الروابط بالعالم الخارجي تقع أيضًا في المدن الثلاث . تم إنشاء الخدمات البخارية من الخرطوم حتى النهر و حتي جوبا ، لكن شبكة الطرق من السودان الأنجليزي- مصري كانت محدودة . عندما بدأت سلسلة من الحكومات المستقلة ، بعد عام 1956 ، بتطوير شبكة الطرق هذه، ركزت أيضًا على شمال النهر: حيث كان هذا هو المكان الذي قادت إليه الطرق ، كانت الطرق أفضل .

في السبعينيات من القرن الماضي ، كانت شبكة السكك الحديدية تتدهور بشكل ملحوظ : ربما لأنها كانت غير فعالة ، أو ربما لأن حكومة نميري استاءت من

القوة السياسية لاتحاد عمال السكك الحديدية . ونتيجة لذلك ، كانت السكك الحديدية في السودان تعمل بالكاد في أواخر التسعينيات (على الرغم من وجود كمية صغيرة من الإنشاءات الجديد لخدمة صناعة النفط) ، إلا أن برنامجاً جديداً لبناء الطرق أعاد التأكيد على هيمنة مركز النهر الشمالي – وهو البرنامج التي تسارعت منذ عام 2002 ، وخلق طرق معبدة من الخرطوم شمالا إلى وادي حلفا، وتحسين وتطوير الطرق من الخرطوم إلى الشرق وإلى الجزيرة ، وكذلك إعادة تسطيح الطرق الرئيسية في الخرطوم . إن الفشل في إكمال الطريق المسفلت نحو الغرب ، الذي يربط بين دارفور وبقية البلاد ، الذي اعتبره العديد من الدافوريين بأنه إهمال متعمد ، كان سبباً أساسيا للنزاع المدني في المنطقة .

في حين أن الأمطار الغزيرة ، والتي لايعول عليها كثيرا جعلت المرونة والحركة من السمات المهمة في معظم أنحاء شمال السودان ؛ لطالما قدم النيل حافزًا لاستراتيجية مختلفة لسبل العيش ، تركز على الاستثمار وتطوير المطالبات على الأرض على طول النهر نفسه . إن الفيضان السنوي لبعض أجزاء النهر يخلق منظرًا محليًا جذابا للتربة الندية الخصبة والرطبة ، والتي تتغير قليلاً كل عام ، حيث يحدث تغييرات طفيفة في مسار النهر . كانت هذه الفيضانات الموسمية لآلاف السنين مورداً بارزاً للمزارعين . في الأزمنة الحديثة ، أدى التطور المستمر لتكنولوجيا الضخ – من المجارف ، إلى عجلات المياه ، إلى المضخات التي تعمل بالبنزين ، إلى مخططات للسدود وشبكات قنوات الري – إلى خلق فرص جديدة لزراعة المحاصيل . يعتمد الاستخدام الفعال للأراضي في معظم أنحاء السودان على المرونة والحركة ، لكن التقنيات الحديثة في الزراعة النهريّة قد وضعت علاوة على الاستثمار الثابت والتحكم في مناطق محددة .

السيطرة على النيل

هذه الإمكانيات للتطوير هي نتاج الطبيعة الخاصة لنهر النيل – أو بالأحرى الأنهار– وكذلك زيادة تطبيق رأس المال والتكنولوجيا للسيطرة عليها. أبعد مصدر للنيل يقع في رواندا : من هناك ، تتدفق المياه إلى بحيرة فيكتوريا ، عبر أوغندا

وبحيرة ألبرت (أو روتانزيج ، كما يطلق عليها أيضا) . و هي ذات المياه التي تصبح النيل الأبيض ، والتي قد إندفعت إلى أسفل المنحدر من أوغندا نحو جوبا ، ثم تنساب ببطء نحو الجزء الجنوبي من السودان ، مع لونها واسمها من جزيئات من الطين الفاتح المعلق. إن شمال منحدر جوبا طفيف جدا بالفعل ، والنهر يتحرك بشكل متذبذب ، حيث تباطأت وتيرته أكثر، إن النباتات العائمة التي تحول النهر إلى امتداد طويل من المستنقع التي تنمو في موسم الأمطار وتتكمش في المناطق الجافة، مع قنوات التعرج التي يمكن أن تجعل الملاحة صعبة . يصعب التنقل في السدود بواسطة القوارب ، ويمثل التوسع الموسمي عبر التربة الطينية تهديداً للسفر البري ، ولكنه معقل للحياة البرية ، مما يخلق موردًا رائعًا لسكانه – في موسم الجفاف هناك الكثير من الأسماك وفرص للزراعة في التربة الرطبة والخصبة مع انحسار المياه . بالنسبة للأشخاص الذين يعيشون من خلال الدمج بين رعي الماشية وصيد الأسماك والزراعة الموسمية ، كما يفعل الكثيرون في جنوب السودان ، فإن التدفق الجزئي للنيل الأبيض يشكل سبل عيشهم .

يتغذي بحر الجبل على التغيرات الموسمية وينبثق منه النيل الأبيض ، جنوب ملكال ، كنهر يمكن التنبؤ به نسبيا ، مع تدفق مياه ثابت إلى حد ما خلال العام . في الخرطوم ، تنضم إلى نيل مختلف تماماً . وتعتبر رحلة النيل الأزرق أقصر من النيل الأبيض. وتنصب نحو الخرطوم من مرتفعات إثيوبيا ، يعبر في الغالب عبر أرضية صلبة ، دون أي عائق على طول الطريق . ويعد نهراً قابلاً للتغيير و عندما لا يكون هناك مطر في المرتفعات الإثيوبية ، فسيكون هناك القليل من المياه في النيل الأزرق. وعند تساقط الأمطار ، يتضخم النهر بسرعة وبشكل مثير. بين مايو وأغسطس ، و يرتفع حجمه بحوالي 1000 في المائة ؛ وبحلول شهر فبراير، تعود إلى أدنى مستوياتها بسبب هذا التدفق السريع ، فإنه لا يخلق أرض رطبة شاسعة مثل بحر الجبل؛ هناك بعض التغييرات المحلية البسيطة في مسارها، لكن التربة الندية الخصبة التي ترسبها – وهي الجريف – تكمن عن كثب على طول مجرى النهر نفسه .

هي مياه النيل الأزرق – تعتبر تلك شقيقتها الأصغر ، نهر عطبرة – التي تجعل النيل شمال الخرطوم ، تزداد وتتراجع مع تغير الفصول في كل عام . وفي شمال الخرطوم ، يتراجع النهر في سلسلة من الخطوات في في منظرها الطبيعي، والتي تنتج المياه البيضاء ، وهو ما يعوق مرور النهر. على إمتداد هذا النهر ، على حد طول النيل الأزرق ، إن الوفرة الموسمي للنهر مربوطاً ارتباطاً وثيقاً بمصارفه ، وكانت المستوطنات والزراعة تتشبث دائماً بحافة الماء . في مصر ، كانت موسمية النيل هي الأساس للغمر السنوي الذي تطورت منه الزراعة المصرية .

لقد كان اعتماد مصر على مياه النيل هو الذي ساعد على خلق السودان . في أواخر القرن التاسع عشر ، لم يكن باستطاعة أسياد مصر البريطانيين تأييد فكرة أن أي قوة أوروبية أخرى قد تسيطر على الفيضان مما جعل حقول مصر مثمرة ، وبالتالي أصروا على الحاجة إلى حملة لدحر الدولة المهدوية . كما كان اعتماد مصر على النيل هو تعيين سلسلة من المخططات الهيدروليكية الكبرى ، التي تم التخطيط لها في إطار الوحدات السكنية ، والتي يتم بناء البعض منها في حاليا . بعد هزيمة المهديين بوقت قصير ، وقد إكتمل سد أسوان المطل على الحدود الجنوبية لمصر مع السودان ؛ وكان هدفها السيطرة على موسمية النيل ، وضمان إمدادات موثوقة من المياه للزراعة المصرية . وكان الهدف من سد سنار ، الذي اكتمل في عام 1925 ، خلق فرص جديدة للري على طول خط النيل في السودان نفسه ، مع زراعة القطن للتصدير هو الهدف الرئيسي . كان السد في جبل أولياء، على النيل الأبيض (1937) ، يهدف أساسًا إلى تنظيم تدفق المياه إلى مصر ، على الرغم من أنه يوفر أيضًا بعض المياه للري المحلي ؛ تم بناء سد خشم القربة في عطبرة (1964) بشكل أساسي لضمان توفير المياه للسكان الذين تم تشريدهم عندما تم بناء سد أسوان .

ومع مرور الوقت ، أصبحت الطاقة الكهرمائية السبب الرئيسي في بناء السدود ، حيث أصبح الري منتجاً ثانوياً: تم بناء سد الروصيرص (1966) على النيل الأزرق، والذي يتم توسعته حاليًا لإنشاء أكبر منطقة مروية ، تم بناؤه في الأصل

لتوليد الطاقة ، وسد مروي الذي اكتمل حديثًا ، والذي ألغى الشلال الرابع ، هو في الأساس مشروع للطاقة المائية . مارست السدود انجذاباً ملحوظا حول سلسلة من الأنظمة السودانية ، مشجعة على تركيز الاستثمار ومخططات التنمية على طول نهر النيل ، ولا سيما في شمال السودان حيث يكون النهر أكثر قابلية . من الناحية النظرية ، تدرس حكومة جنوب السودان مخطط السد الكبير الخاص بها ، بين نيمولي وجوبا ، لتوليد الكهرباء .

كان هناك مخطط واحد للتدخل على النيل . لا تهدف إلى سد النهر ولكن لجعله يتدفق. ولقد كانت تلك قناة جونجلي ، خطة لقناة ضخمة يمكن أن تتجاوز السدود وتحمل مياه النيل مباشرة إلى ملكال ثم إلى ما بعد ذلك . في البداية ، تم وضع الخطة في إطار خطة إدارة المياه ، والتي كان لها مصالح مصرية في جوهرها ، وتم إحيائها في السبعينيات تحت ستار التنمية ، وقدمت كخطة لجعل السدود منتجة وخلق آفاق ري في المنطقة الجنوبية . نظر العديد من الجنوبيين إلى المشروع بريبة، وكانت هناك شكوك كبيرة حول تأثيره المحتمل على البيئة ؛ كانت هناك احتجاجات عامة في المدن الجنوبية . وتم التخلي عن حفر القناة في عام 1984 بعد أن هاجم جيش الحركة الشعبية لتحرير السودان معسكر البناء .

في حين أن المشاريع الهيدروكيميائية كانت موضوع أفكار الدولة للتنمية في السودان، فقد كان هناك نموذج بديل للتنمية الزراعية ، والذي أخذ التركيز بعيدا عن نهر النيل. بعد القيام ببعض التجارب في الأربعينيات من القرن العشرين ، قررت الحكومة في الخمسينات من القرن المنصرم لتعزيز زراعة الأمطار الآلية في حزام الأرض التي تشكل ما سمي بالمنطقة الانتقالية ، بين الشمال الموازي العاشرة والرابعة عشر. في السبعينيات من القرن الماضي ، قامت حكومة جعفر نميري الثورية بإنشاء طاقة جديدة في هذا المجال ، وتم تخصيص مساحات كبيرة من الأراضي في ولايتي النيل الأزرق وجنوب كردفان في مخططات زراعية آلية، على أمل أن تنتج الحبوب التي يمكن تصديرها إلى المملكة العربية السعودية ودول الخليج في مقابل العملة الصعبة. في حين أن بعض المستثمرين الذين ينفقون

المال في هذه المزارع قد ازدهروا بشكل واضح ، فإن الزراعة الآليـــة اعتبـــرت مشكلة من قبل المتخصصين في التنمية . من خلال الاستيلاء على الأراضي التي، من وجهة نظر الدولة ، لا يمتلك أي شخص "الملكية" ولكن تم اســـتخدامها علـــى أساس عرضي من قبل المزارعين على نطـــاق صـــغير ، أو كمـــوارد موســـمية للرعي، أو طرق الهجرة، فإن هذه المزارع العملاقة قد أضعت سُبل عيش بعـــض السكان الذين اعتمدوا على المرونة ؛ والأرض نفسها كانت في بعـــض الحـــالات مستنفدة بسرعة .

في العقود القليلة الماضية ، نتيجة لتدخل الدولة ، الحرب الأهليـــة ، والمجاعـــة ، وفي بعض مناطق الشمال ، أصبحت الأمطار غير موثوق بها على نحو متزايد.– ونتيجة لتعطل النظم التقليدية لإنتاج الأغذية – شهد السودان نزوحًا سكانيًا كبيرًا . لقد أجبر ملايين الأشخاص على الانتقال . وقد أدت الهجرة من الريف إلى المدينة إلى تغيرات جذرية في المشهد السكاني ، لا سيما نمو المدن في وسط الســـودان ، ولا سيما منطقة العاصمة الخرطوم . إن حدود الســـودان الدوليـــة التـــي يســـهل اختراقها مع تشاد وإريتريا وإثيوبيا قد استضافت أيضا مئات الآلاف من اللاجئـــين الفارين من الحروب في هذه البلدان . ولهذه التحولات في السكان آثار بعيدة المدى على البيئة الطبيعية ، مما يؤدي إلى إزالة الغابـــات حـــول المراكـــز الحضـــرية ويستلزم المعونات الغذائية التي فقد فيها الاكتفاء الذاتي .

الموارد الطبيعية

لدي السودان أنواع أخرى من الثروة الطبيعية بعيدا عن النهر والمشاريع الكبرى،. من أقلها وضوحاً ، ولكن الأكثر أهمية ، هو الصمغ العربي ، الذي يعتبر مصدراً مهماً للدخل لسكان حزام عريض عبر منطقة السافنا بين المـــوازيتين العاشـــرة و الموازية الرابعة عشرة . يستخدم الغذاء الصالح للأكل الذي ينبعث من لحاء شجرة الأكاسيا، الأكاسيا السنفالية أو أكاسيا السينغال ، ويستخدم الصمغ العربي في إنتاج المستحضرات الصيدلانية ومستحضرات التجميل والدهانات والمواد الغذائية ، بما في ذلك معظم المشروبات الغازية . تنتج السودان حالياً حـــوالي 25،000 طـــن

سنوياً ، أو نصف الإنتاج السنوي العالمي ؛ يأتي معظمها من كردفان ، حيث تعمل مزارع الصمغ بشكل جيد في المناخات الجافة والرملية . وهناك القليل من الزراعة المشتركة؛ إن جمع الصمغ العربي عموما هي وظيفة موسمية للمزارعين الفقراء . وفي الوقت الحالي ، فإن احتكار الحكومة لتجارة الصادرات يحد من العائدات إلى هؤلاء المزارعين ، ويوفر عائدات كبيرة للدولة . شجرة شيا أو اللولو (بوتيروسبيرموم باركي)، مصدر زبدة الشيا المستخدمة في مستحضرات التجميل ، تنمو في مناطق مختلفة من السودان ، و جنوب حزام الصمغ العربي . اللولو هو محصول نقدي لم يتم استغلال إمكاناته بالكامل بعد . في أماكن أخرى في السودان ، تعتبر الأخشاب سلعة تصدير محتملة . في الجنوب، على وجه الخصوص ، هناك موارد كبيرة من الخشب الصلب ، تنمو على حجر الحديد . خلال الحرب ، تم قطع الكثير منها من قبل ضباط الجيش في الحامية الحكومية في واو وتصديرها بالقطار والطائرات إلى الشمال .

تظل الحياة البرية مصدرًا مهدّداً ومتدنياً في السودان . تعتبر بحر الجبل ، على وجه الخصوص ، واحدة من تحديات الحفاظ على البيئة في أفريقيا . ساعدت الأسماك والصمغ بالسد ومناطق أخرى من الجنوب في الحفاظ على سكانها من اثنين من الحروب الأهلية ، لكن المنظمات المحافظة على البيئة بدأت الآن في إجراء مسوحات لتحديد ما تبقى من الحياة البرية التي كانت وافرة في يوم من الأيام . جنوب السودان هو موطن لاثنين من ثلاثة من الثديات المهاجره الرئيسية في أفريقيا، من الكوب ذو الأذنين البيضاء (كوبوس كوبوت ليوكوتيس) والتيانج (كوريقام ، ديملسكس ، لانوتوس) هذه الحركات الموسمية تنافس هجرة الحيوانات البرية في سيرينغيتي من حيث الحجم والمدى . تهاجر كوب وتيانغ إلى الشمال والجنوب في سهول شرق النيل ، الكوب من مستنقعات غوم بعد هضبة بوما وخلفها ، تيانج من دوك ريدج من وإلى السهول الفيضية لنهر كيديبو. إن اجتماع هذين النوعين مع الريدبكا (ريدبك) و(البونتاتاو الإيدورسكا) و(غزال المونقالا) ، عند نقطة تحول الحركات الموسمية الخاصة بهما ، هو حدث مذهل . ومع ذلك ،

هناك مؤشرات تشير إلى أن مسارات الهجرات تتغير استجابةً للنشاط البشـــري . جنوب السودان هي موطن لكثير من الأنواع النادرة ، مثـــل الإلانـــد العمـــلاق(تورتوقس والديربي) ولحذاء اللقلق (بالينيسبس ريكس)، الرمـــز الإقليمـــي لبحـــر الغزال الأكبر ، والآن رمز ولاية البحيرات . وقد عانت الفقاريـــات الكاريزميـــة الأخرى إلى حد كبير. عدد الأفيال ، أكثر من 150.000، في عام 1976 ، وقـــد تبقي جزء صغير منها . من المحتمل أن يكون وحيد القـــرن الأبـــيض الشـــمالي منقرضًا في السودان . تعد العاج واحدة من الصادرات الرئيسية للبلاد في القـــرن التاسع عشر ، أصبحت الآن خاضعة لحظر دولي – ولكن لا يزال مـــن الممكـــن بيعها في أسواق أم درمان .

المعادن

وبإستثناء النفط ، يبدو أن الموارد المعدنية في السودان تنتشر في الغالـــب حـــول حدودها. في الماضي ، تم استخراج النحاس في أقصى غـــرب الســـودان ، فـــي الموقع المعروف باسم حفرة النحاس . وتوجد ترسبات للمعادن ، ولكن لـــم يكـــن هناك أي عمل تجاري لها في الآونة الأخيرة ، وتم التخلي عن برنامج استكشـــافي من قبل شركة تعدين دولية كبرى في عام 1999 ، حيث بدا أن الاحتياطيات لـــم تكن مجدية تجاريا. في تلال الانقسنا ، في الشرق ، هنـــاك رواســـب مـــن خـــام الكروم. في السبعينات ، تم إنتاج الكروم محليًا ، ولكن اليوم لا يوجد سوى تصدير الخام نفسه ؛ في عام 2006 ، أنتجت السودان 20،000 طن من الخام . تتمتـــع تلال شرق السودان بتقاليد قديمة من الذهب الذي يعود إلى العصور القديمة. وكان الاستغلال التجاري لهذا الأمر متقطعاً في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ولكـــن منذ عام 1991 كان هناك إنتاج ثابت من قبل شركة تملـــك غالبيتهـــا الحكومـــة السودانية . قد يكون إنتاج الذهب في منخفضا. وهناك أرقام مختلفة جداً تعطى من مصادر مختلفة: هنالك ادعاء حكومي حديث بأن السودان ينتج 20 ألف كيلوجرام من الذهب سنوياً ، والكثير منها من التحميص الحرفي للذهب الرسوبي ، و هـــو أعلى بكثير من التقديرات الأخرى ، ممـــا أدي إلـــي بلـــوغ الـــرقم 4–5 ،000

كيلوغرام . كما يوجد في شرق السودان رواسب كبيرة من الجبس ، وفي عام 2006 تم استخراج 14000 طن سنويا .

النفط

إن نفط السودان في الغالب بعيد عن منطقة النهر الشمالي . أحد الجوانب المدهشة لاستغلال هذا المورد هي الكفاءة التي تم من خلالها إيراداته – على الرغم من المسافة التي ينطوي عليها ذلك – تم توجيهها بشكل كبير إلى الخرطوم العظمي (على الرغم من أن الإيرادات أصبحت الآن مشتركة مع حكومة جنوب السودان) . تمتد امتيازات النفط عبر السودان ، ومعظمها ينحدر من الغرب إلى الشرق ، ومن جنوب دارفور إلى شرق الاستوائية . هناك تنازلات من قبل الخرطوم والشرق ، ولكن ليس من الواضح ما هي الاحتياطيات التي قد تحتفظ بها هذه الحقول الشمالية بالفعل . معظم احتياطيات النفط المعروفة في الجنوب . تمتد خطوط الأنابيب شمالاً إلى ولاية الخرطوم ، حيث توجد مصفاة واحدة ، ثم إلى بورتسودان ، حيث توجد مصفاة أخرى ، ومنها يتم شحن النفط ، و يذهب معظمها إلى الصين واليابان .

ليس كل نفط السودان متشابه . إن النوعية التي تأتي من المنطقة الحدودية حيث يلتقي بحر الغزال مع كردفان، التي كانت المنطقة الأولى التي يتم استغلالها تجاريا، يسمى النيل. وهي ذات جودة عالية من مزيج الدار الذي يأتي من أعالي النيل . ويستخدم مزيج الفولة، من منطقة كردفان– دارفور الحدودية ، للاستهلاك المحلي .

منذ بدء الإنتاج التجاري ، في عام 1999 ، حول النفط اقتصاد الدولة المركزية – وإن لم يكن من السودان ككل . في عام 2008 ، مثل النفط 95 في المائة من صادرات السودان ، من قيمة 60 في المائة من إجمالي الإيرادات الحكومية ؛ خلال فترة اتفاقية السلام الشامل ، تطورت حكومة جنوب السودان كمؤسسة معتمدة كلياً على النفط ، والتي توفر 98٪ من إيراداتها . هذا الاعتماد الحكومي

هو نتيجة طبيعية لمستوى عال جدا من مشاركة الدولة في صناعة الـــنفط . فـــي حين أن الشروط المحددة تختلف في كتل الامتياز المختلفة ، فقـــد كـــان النمـــوذج الأساسي للمشروعات المشتركة بين الشركات الحكومية والمســـتثمرين الأجانـــب. وبهذه تسمح بالرقابة الحكومية عن كثب . كما سمحت بتطوير نظام الشركات في شمال السودان، حيث توجد علاقة وثيقة للغاية بين الحكومة والقطـــاع الخـــاص . يبدو أن صناعة النفط تمثل أشد المظاهر الجغرافيا السياسية في السودان ، حيـــث تهيمن منطقة النهر الشمالي ، وتستمد الثروة من ، بقية البلاد .

عندما ينفد النفط في السودان ، في وقت ما في العقود القليلة المقبلة ، من المرجح أن تعيد المياه إثبات نفسها باعتبارها المورد الاقتصادي الرئيسي للبلاد . ويشـــكل بناء السدود على النيل ، وتوليد الكهرباء كمصدر للطاقة البديلة ، وإنشاء المشاريع الزراعية المرتبطة بها ، هي العناصر الرئيسية لاستراتيجية التنمية في الخرطوم في الشمال. و في الجنوب هنالك قناة جونقلي التي تم التخلـــي عنهـــا فـــي عـــام 1983م، و من الصعب التنبؤ بتأثير مشروع قناة جونقلي الجديـــدة علـــى رعـــي الموسم الجاف وعلى موارد الحياة البرية في السودان – وعلى الرأي العام .

من الممكن أيضًا أن تصبح مياه النيل مصدرًا للنزاع الدولي . إن الســـودان أحـــد الدول التسعة المشاركة في مبادرة حوض النيل (جنوب السودان المســـتقل ســـوف يقوم بهذا العمل) ، والذي حاول إعادة التفاوض على الاتفاقيات الدولية التي تـــنظم استخدام المياه من قبل الدول التي تقع عي ضفة النهر. تمـــنح الاتفاقـــات مصـــر والسودان الحق في حصة الأسد في استخدام مياه النيل . ووفقاً لاتفاقية مياه النيـــل لعام 1929 (وتعديلها لعام 1959) ، تبلغ حصة السودان 18.5 مليار متر مكعب. وإلى جانب حصة مصر التي تبلغ 55.5 مليار متر مكعب ، تمثـــل مطالبـــات الدولتين الواقعتين في أقصى الشمال نحو 90 في المائة من التدفق السنوي لنهـــر النيل . لطالما كان الصراع حول هذا المورد مصدراً للاحتكاك مع دول حـــوض النيل الأخرى . سنوات عديدة من المفاوضات فشلت في حل خلافاتهم .

3. الدول المبكرة على النيل

عبد الرحمن علي محمد & ديريك ويلسبي

السودان والنوبة ومصر

إن النقاشات حول تاريخ السودان قبل أواخر القرن التاسع عشر معقدة بسبب الاختلافات بين الحدود السياسية والثقافية الحالية وتلك الموجودة في الفترات السابقة. أول شلال في نهر النيل بالقرب من أسوان الحالية هو نقطة مرجعية رئيسية. وتمكن الحدود الجنوبية لمصر في وجودها من ظهور الدولة الفرعونية منذ حوالي 3000 قبل الميلاد. غالبًا ما كانت مصر تسيطر على الأراضي الجنوبية ، ولكن بالنسبة للمصريين ، بقيت الأرض الواقعة وراء الشلال عبارة عن عالم أجنبي. في فترات لاحقة ، على الرغم من تقلب موقع الحدود ، حيث بقيت الحدود الثقافية الرئيسية . بعد ثورة المهدى في ثمانينيات القرن التاسع عشر وطرد مصر من السودان طالت السيطرة المصرية جنوبا حتي وادي حلفا ، وفي يناير 1899 تم تحديد الحدود الرسمية بين البلدين على طول المتوازية الثانية والعشرين ، التي تقع إلى الشمال مباشرة من الشلال الثاني . وفي أي عرض لتاريخ السودان قبل هذا الوقت ، يجب تضمين الجزء من مصر الذي يقع إلى الجنوب من الشلال الأول .

ليس فقط الحدود ، ولكن تغيير المصطلحات الجغرافية والثقافية مع مرور الوقت . وهكذا ، يمكن استخدام مصطلح النوبة تاريخيًا لوصف منطقة ثقافية واسعة ، تصل إلى الشمال حتى الشلال الأول ، ولكن في الوقت الحاضر لها تعريفات أكثر تقييدًا ، مما يدل على إنبساط النهر شمال منحنى النيل حيث يتواجد متحدثوا اللغات النوبية.

إعادة اكتشاف ماضي السودان القديم

بالنسبة لمن هم في شمال السودان ، فإن الاهتمام بالأراضي التي تقع في الجنوب يعود إلى أكثر من خمسة آلاف عام . جاء المصريون إلى السودان كتجار ومنقبين وغزاة . سجل المؤرخ اليوناني هيرودوت في القرن الخامس قصص عن الأراضي في جنوب مصر. غزا الرومان المنطقة وأرسلوا بعثة تقصي حقائق ربما وصلت إلى الجنوب نحو بحر الجبل . قام المبشرون البيزنطيون بالتبشير في اتجاه ملتقى النيل إلى سوبا الشرقية ، عاصمة مملكة علوة في العصور الوسطى ؛ وقد اجتاز المسافرون المسلمون الجزء الشمالي من البلاد ؛ وقد زار رئيس الكاتالونية ، وربما كان للحج ، جنوب دنقلا في القرن الثالث عشر. وقد تبع هؤلاء الزوار الكاتب العثماني غولفي أوليا جلبي في القرن السابع عشر. يبدو أن تاريخ المنطقة يتميز بتوسع القوى الشمالية جنوباً . لكن في أوقات معينة ، تمكنت القوى التي نشأت جنوب الشلال الأول ، أي ما يعرف الآن بشمال السودان ، من دفع الأراضي إلى الشمال وغزوها .

أول مساهمة بارزة للكشف عن ماضي السودان جاءت عندما مر الرحالة الاسكتلندي جيمس بروس عبر حقل من الحطام بالقرب من قرية البجراوية عام 1772 وعرّفها بشكل صحيح على أنها موقع مروي ، عاصمة الدولة الكوشية في الألفية الأولى قبل الميلاد والقرون الأولى . منذ أوائل القرن التاسع عشر ، استقطب السودان اهتمام نوع جديد من الباحثين الأوروبيين – العديد منهم من خلفية في الدراسات المصرية أو الشرق أوسطية . ركزت معظم أنشطتهم تقريباً على وادي النيل الشمالي . كانت عمليات التنقيب التي تم تنظيمها وتمويلها من قبل هنري ويلكوم ، رائد الأعمال الصيدلانية ، في جبل مويا في الجزيرة ، بين النيل الأزرق والنيل الأبيض ، استثناءً نادراً للقاعدة . نقب هؤلاء الباحثون عن المواقع الأثرية الرئيسية التي يمكن أن ترتبط بمصر والعالم الكلاسيكي . في وسط السودان وجنوب السودان لم تكن هذه البقايا موجودة ، وكانت تلك المناطق شبه مهملة تماماً ، وكذلك المناطق الصحراوية في شرق وغرب النيل . أصبح جنوب

السودان حكرا على عالم الأنثروبولوجيا والأثنوغرافي ، وما زال هذا الخلل في البيانات المتاحة مستمرا حتى يومنا هذا ، جزئيا كنتيجة لفترات طويلة من انعدام الأمن في الجنوب . دارفور ، مثل الجنوب ، كما تم استكشاف القليل منها من قبل علماء الآثار حتى الآن .

دائرةالآثار السودانية

تأسست دائرة الآثار السودانية في عام 1903 ، ولكن لسنوات عديدة كانت تدار على نحو متقطع . لم يتم تعيين المفوض الأول حتى عام 1939 ، ولم يتم تنظيم الخدمة بشكل منهجي حتى خمسينيات القرن العشرين . خلال فترة الستينات والسبعينات من القرن الماضي ، ركزت الخدمة جهودها على حملة اليونسكو لإنقاذ آثار النوبة التي رافقت بناء السد العالي في أسوان في مصر. واليوم يشهد السودان زيادة سريعة في المستوطنات البشرية ، لا سيما حول المراكز الحضرية الرئيسية. تتعرض البقايا الأثرية بشكل متزايد للتهديد من خلال هذا التوسع الحدودي ، وبمخططات بناء السدود – كما هو الحال مع مشاريع التطوير الرئيسية السابقة مثل بناء السدود في سنار وجبل أوليا في العشرينيات والثلاثينيات و وخزان الروصيرص في الستينيات ، وتطوير مشروع الجزيرة للقطن . وحتى وقت قريب ، تم تنفيذ هذه المخططات دون أي عمليات إنقاذ أثرية مما أدى إلى فقدان معلومات قيمة في المواقع المهمة . وينعكس الوعي بأهمية التراث الأثري الآن في البرامج الحكومية التي تهدف إلى حماية التراث الثقافي للبلاد . ويتضمن قانون الآثار لعام 1999 حكما ينص على أنه لا يجوز الشروع في مشاريع التنمية إلا بعد الانتهاء من الدراسات الأثرية .

الصيادون ، الحشود ، و المزارعون الأوائل

تم الإبلاغ عن آثار بعض من سكان السودان في حدود منطقة دنقلا بالقرب من كدنرتي ، إلى الشمال من كرمة . أسفرت عمليات البحث الأخيرة في جزيرة ساي عن اكتشاف مستوطنة متحفظة تماما تمتد عبر الفترة بين 3,000 إلى

2,000 سنة مضت، وقدمت معلومات جديدة عن الاحتلال البشري المبكر لهذه المنطقة من وادي النيل. تم جمع أكسيد الحديد الأحمر والأصفر هنا ، على ما يبدو لاستخدامها كأصباغ، وقد ادعى هذا كدليل على النشاط الفني المبكر. كان المناخ في ذلك الوقت رطباً نسبياً ولكنه أصبح قاحلاً بعد فترة وجيزة .

إن أقدم موقع تمثيلي للعصر الحجري في وسط السودان هو خور أبو عنجة في أم درمان، الذي تم اكتشافه في عام 1949. يرتبط الموقع بالفترة الطويلة من التاريخ البشري حيث استخدم أسلافنا أدوات حجرية بسيطة ويعيشون علي الصيد وفي تجمعات . وقد تم تسجيل مواقع أخرى من هذا العصر في وادي حلفا وأرغين ، في حين تم العثور على مواقع أخرى في العصر الحجري القديم والوسطى في دنقلا . وقد سميت مقبرة في جبل سحابا تعود إلى نهاية العصر الحجري القديم باسم مقبرة الحرب الأولى في العالم . حيث تكمن بقايا ما يصل إلى 53 رجلاً وامرأة وطفلًا ، معظمهم قتلو بالسهام ذات الرؤوس الحجرية .

كانت مجموعات العصر الحجري الوسيطي عبارة عن صيادين متجمعين طوروا مجتمعات محمولة ذات اقتصاد يجمع الطعام . عاشوا في السودان ، على طول النيل وروافده ، واستغلال الموارد النهرية ، وإنتاج الفخار واستخدام أدوات من الحجر والعظام. وقد لوحظت فترة الميزوليتي (8500–5005 قبل الميلاد) في وادي النيل لأول مرة كنتيجة للتنقيب في مستشفى الخرطوم من قبل أ. ج . أركيل ، وهو مسؤول وعالم آثار استعماري بريطاني . قدمت أعمال التنقيب التي قام بها أركيل في عام 1949 في الشاهيناب أول دليل على الفترة المبكرة من العصر الحجري الحديث (4900–3800 قبل الميلاد) في وسط السودان . تتميز هذه الفترة بالاقتصاد أكثر انتظامًا في إنتاج الغذاء ، مع حصاد الحبوب البرية من الشعير والذرة الرفيعة ورعي الماشية والماعز. وخلال هذه الفترة كان المناخ في الصحراء دافئ ورطب .

الحضارة المدنية الأولى والعلاقات مع مصر

قرب نهاية العصر الحجري الحديث ، بدأت مستوطنة حضرية واسعة النطاق في شمال دنقلا؛ وقد تم العثور على أدلة لها تحت واحدة من المقابر في كرمة . حتى وقت قريب تعتبر مستوطنة ريفية صغيرة ، فمن الواضح أنه في الألفية الثالثة قبل الميلاد كان هنالك مجمع حضري كبير محاط بالدفاعات الضخمة والمعقدة . داخل أسوار الأخشاب والأسطح الترابية يوجد العديد من الأكواخ الخشبية الدائرية والبنى المستقيمة والحفر التخزينية . تسبق المدينة تطور في أماكن أخرى في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى على مر آلاف السنين . من المفترض أن تكون المدينة قد بنيت على ضفاف قناة النيل ، حيث تم إهمال المدينة مع تحول قناة النهر إلى الغرب .

وفي عام 2500 قبل الميلاد تم تطوير مركز حضري آخر ، على بعد أربعة كيلومترات نحو الغرب . وقد أصبحت هذه المدينة عاصمة ما عرف للمصريين باسم مملكة كوش . مثل سابقتها كان لديها دفاعات مفصّلة ، حيّ ديني مهم في قلبها ومباني محلية لا حصر لها ، مجمعات إدارية وصناعية . سرعان ما تولى حكام كوش السيطرة على وادي النيل نحو أعلي النهر للجزيرة الرابعة من جزيرة موغات إلى جزيرة ساي. إن الثقافة المادية لهذه المملكة ، المعروفة باسم موقعها وتعتبر كرمة معروفة ويتجسد هذا في صناعة الفخار و من أجود أنواع الفخار المصنوعة يدوياً في وادي النيل ، الحمراء ذات اللون الأحمر المطلي باللون الأسود من الداخل، ومثل فخار كرمة القديمة ، المزين بدقة تحت في قاعدتها .

لقد كانت مملكة كوش شريكا تجاريا رئيسيا لمصر القديمة ، حيث تقع على الطريق البري الذي يربط مصر و البحر الأبيض المتوسط بأفريقيا الوسطى . كانت شبكاتها التجارية واسعة النطاق وربما ضمت مناطق بعيدة إلى الجنوب الشرقي بالقرب من كسلا على الحدود الإريترية الآن ، وربما واحدة من المناطق المعروفة لدى المصريين باسم بونت . جلبت المواد التجارية التي تمر عبر كرمة – العاج ، وجلود الحيوانات، والأخشاب الصلبة ، والذهب والعبيد فيما بينها –

ثروة كبيرة للمدينة ، وقدر عرضت هذا في المقـــابر الملكيـــة . تغطـــي المقبـــرة الرئيسية ، في موقع مستوطنة ما قبل كرمة ، مساحة تقارب 90 هكتاراً . ويقـــدر أن تحتوي على ما بين 30,000 إلى 40,000 مدفنة أحدهم ، ربما يعود لملـــك الفترة الوسطى لمملكة كرمة هو قبر يبلغ 11.7 متر و عمق 2 متـــر ، مغطـــاة بواسطة تل 25 مترا ؛ وعلى الجانب الجنوبي هناك هلال لأكثر من 4000 مـــن جماجم الماشية . وكانت قبور ملوك كرمة في وقت لاحق أكثر إثارة للإعجـــاب . دفن تحت أكوام يصل قطرها إلى 90 متراً مصحوباً بوفاة ما يصـــل إلـــى 400 ضحية من البشر ، من بينهم ربما كانوا أعضاء في أسرة الملك ، وأسري الحرب وأسرهم .

إن الاحترام الذي يظهر للبراعة العسكرية للكوشيين من قبل المصريين يظهر من جهة وحدات الرماة المستمدين من هذه المنطقة في الجيش المصري ، ومن ناحيـــة أخرى ، من خلال التحصينات الهائلة التي بناها المصريون خلال السلالة الثانيـــة عشرة لحماية حدودهم الجنوبية . تحتوي هذه الحصون على أسماء مثل "الخـــروج من الأقواس" . خلال الفترة 1750–1650 قبل الميلاد ، كانت القوة المصرية في طريقها إلى الزوال . في الشمال ، احتل الهكسوس ، وهو شعب آسيوي ، دلتـــا . خلال هذه الفترة ، احتلت مملكة كوش جميـــع الأراضـــي حتـــى الشـــلال الأول واغارت على الإفلات من العقاب في مصر .

يبدأ الكتاب المدروس حديثاً من الكبة ، على بعد 125 كيلومترًا شـــمال الشـــلال الأول: "اسمعوا ، الذين هم على قيد الحياة على الأرض ... جاء كوش ... أثـــار على طوله، وقد أثار قبائل الواوات ... أرض بونـــت و الســـلالة الوســـطى ... استهزأ الفرعون المصري (كاموس) بحقيقة أنه "عندما يكون هناك قائد في أفاريس وآخر في كوش وأنا أجلس في عصبة آسيوية ونوبية ، فإن كل رجل يحمل حصة من مصر."

مع عودة القوة المصرية ، لا سيما تحت حكـــم أحمـــص (1515– 1525 قبـــل الميلاد)، بدأ المصريون الهجوم . بعد الإطاحة بهيكسوس من الدلتا ، حول أحمس

إنتباهه نحو الجنوب . بحلول عام 1500 قبل الميلاد تحطمزي لقد قهرت الملـــك الكوشي في معركة كبيرة في الشلال الثالث وأقامت لوحة حدوده ، علامة حجرية منحوتة ، نحو أعلي النهر في كورقاس .

استمرت السيطرة المصرية حتى أوائل القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، ويتضـــح ذلك من خلال سلسلة من المدن المحصنة الرئيسية تمتد حتى جبل البركل ، وهـــو موقع يعتقد المصريون أنه موطن أجدادهم الجنوبي لإله الدولة آمون . على الرغم من أن الهيمنة المصرية واضحة في المراكز الحضرية ، فقد كان تأثيرهـــا علـــى الجزء الأكبر من السكان داخل أراضيها أقل أهمية بكثير. يبدو أنه عندما تخلـــت مصر عن فتوحاتها جنوب الشلال الأول ، ظهرت الثقافة الأصلية مرة أخرى فـــي المقدمة . يشار إلى ذلك في عادات الدفن ، وإنتاج السيراميك والهندسة المعمارية.

قيام وسقوط مملكة كوش

لقد أصبح الوضع معقدا لدي الدولة النوبية في القرون القليلـــة عقـــب الانســـحاب المصري . لدينا تلميحات حول وجود قاعدة هامة في قصر إبريم حيـــث يوجـــد معقل محصن مثير للإعجاب ، ولكن كان ذلك في منطقة الكورو ، على بعد اثنـــي عشر كيلومتراً من هضبة جبل البركل ، وهي دولة حديثة النشأة وكان من المقدر أن تهيمن على وادي النيل من ملتقي النيلين بقدر البحر الأبيض المتوسط . كـــان هناك تطور واضح للمقابر والبنى الفوقية للمقابر والعادات الجنائزية مـــن قبـــور الحفر الأصلية إلى المدافن المحنطة الممتدة في المقابر الصخرية ذات الزخـــارف المبنية بالحجر والتي تعلوها أهرامات من الحجر. يبدو أن هذا التسلســـل ، الـــذي يوثق اعتماد العديد من جوانب الدين والثقافة المصرية الجنائزية ، كـــان ســـريعًا جدًا، حيث امتد على مدى 200 عام فقط . ومن المفترض أن هذا قد تم عكسه من خلال التوسع السريع في الدولة ، حيث أن قياداتها تترتفع مـــن مشـــايخ محليـــين ليصبحوا ملوك إمبراطورية شاسعة .

للأسف ، لا نعرف شيئًا عن كيفية تحقيق هذا التحول . ما يبدو واضحاً هو أن الحكام الكوشيين الأوائل احتضنوا الأساطير المصرية المتعلقة بجبل البركل ، واكتسبوا المعرفة للسماح لهم بفهم النقوش والكتابات المصرية العديدة التي تزين المعابد عند سفح الجبل . أوضحت هذه المواد أن مصر قد زعمت شرعيتها في حكم كوش من خلال سيطرتها على منزل آمون الجنوبي في الجبل نفسه . ولذلك ، وبكونه إله الدولة المصرية – عندئذ أيضًا إلهًا كوشيًا – أن ملك الكوشية كشتا في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد تولى السيطرة على جنوب مصر. ذهب خليفته بياشي (بيي) لقهر مصر بأكملها وحكمها لفترة وجيزة ، أكبر إمبراطورية تمت رؤيتها على نهر النيل ، تجاوزت إمبراطورية محمد علي في العشرينيات من القرن التاسع عشر ، بعد أكثر من 2500 سنة .

كانت سيطرة الكوشيين في مصر قصيرة . في مواجهة الإمبراطورية الأشورية العدوانية (التي خاضت ضدها كوش أولاً في المشرق) ، أخيرا تم انهاء حكم الكوشيين في مصر بإقالة الأقحوان من قبل الآشوريين في عام 663 قبل الميلاد. وعلى الرغم من اضطرارهم إلى التراجع نحو الجنوب ، إلا أن الكوشيين أبقوا سيطرتهم على مساحات شاسعة من وادي النيل على مقربة من الخرطوم الحديثة . لم تتضح إلى أي مدى إمتدت كتابتهم إلى الشرق والغرب من النيل ، لكن المواقع الكوشية معروفة في عمق بيودا ، على بعد أكثر من 100 كيلومتر فوق وادي هور في الصحراء الليبية وفي البطانة . في القرون القليلة الأولى من وجوده، نشأ مركز ديني في نبتة ، وهو الاسم الذي يطلق على المنطقة المحيطة بجبل البركل ، ولكن كان يوجد بالفعل مركز حضري رئيسي في مروي في أقصى الجنوب . تم تعزيز أهمية مروي عندما تم نقل المقبرة الملكية هناك في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد . بالنسبة للزوار اليوم ، تعد حقول ميروي الهرمية واحدة من المواقع الأثريّة في السودان .

الثقافة الكوشية هي مزيج مثير للاهتمام من التأثيرات المصرية التي اندمجت مع تقاليد أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى المحلية . لقد تطورت هذه الثقافة على مدار

تاريخها الممتد على 1200 سنة بشكل كبير ، جزئياً كنتيجة للتغيرات الثقافية والسياسية في مصدر إلهامها الأصلي ، مصر. استوعبت كوش في العصور المبكرة الثقافة الفرعونية المصرية واعتمد اللغة المصرية كلغة مكتوبة للنقوش التذكارية . ومع ذلك ، فقد أصبحت مصر تحت سيطرة مجموعة من الحكام الأجانب – الفرس والمقدونيين والرومان – لذا تغيرت التأثيرات على كوش . على الرغم من أن الكوشين كانوا دائما لهم لغتهم الخاصة ، إلا أنه في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد تم تطوير نظام الكتابة . بعد ذلك ، كتبت النقوش والكتابات التذكارية على حدٍّ سواء إلى حدٍ كبير بهذه اللغة ، التي تُعرف الآن باسم المرَوية ، والتي لا تزال غير مفهومة .

في حين احتضنت مصر، مقاطعة الإمبراطورية الرومانية ، المسيحية خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين، ظل الكوشيون صادقين مع آلهة الأجداد ، سواء من السكان المحليين أو من أصل مصري . لكن دولة الكوشيت انهارت في القرن الرابع الميلادي . لقد كانت الدولة عبارة عن شريطا رقيقًا جدًا من الأراضي يمتد لأكثر من 2000 كيلومتر على طول نهر النيل ، غير مستقرة بطبيعتها . إن ثراء وقوة الملوك المتمركزين في مروي ساعادتا في تماسكها . وقد استمد معظم هذا من السيطرة على التجارة من وسط أفريقيا. ولكن في القرن الثالث الميلادي ، انخفض حجم هذه التجارة بسبب فقر الإمبراطورية الرومانية وصعود مسار تجاري آخر عبر أكسوم على الهضبة الإثيوبية . على الرغم من أن الثقافة الكوشية نجت إلى حد ما ، فقد ضاعت وحدة أراضي الدولة .

الممالك المسيحية في النوبة

تسجل المصادر التاريخية أنه بحلول منتصف القرن السادس الميلادي كانت هناك ثلاث ولايات أرثية تتبع للنوبة ، نوباطيا في الشمال عاصمتها في فراس ، وماكوريا في الوسط وعاصمتها في دنقلا القديمة ، وعلوة (ألوديا) في الجنوب وعاصمتها في سوبا الشرقية. كانت هذه الولايات الثلاث التي تحولت إلى المسيحية من قبل المبشرين المرسلين من مصر والبيزنطين القسطنطينية . كان

هذا بمثابة لحظة محورية في التاريخ الثقافي لوادي النيل الأوسط . وقد أدى وصول الدين الجديد وربما تبنيه بسرعة إلى محو آلاف السنين من التقاليد الدينية المصرية والأصلية ، مما يشير بشكل خاص إلى نهاية الممارسة القديمة للتضحية البشرية التي مضى عليها 5000 عام .

قد أدى تبني المسيحية إلى فوائد سياسية مهمة ، وتحالفت الدول النوبية مع بيزنطة، وهي القوة الإقليمية العظمي . ومع ذلك ، تم تحطيم ميزان القوى في المنطقة في أوائل القرن السابع من الغزو الفارسي لمصر. على الرغم من استعادة البيزنطيين سيطرتهم ، فقد وجهت جيوش الإسلام ضربة ساحقة لكل من بيزنطة والإمبراطورية الساسانية في 630 ؛ وأدى الغزو العربي لمصر عام 639 إلى تغيير دائم في سياسة المنطقة . تقدم سادة مصر الجدد شديدي العدوانية على الفور نحو الأراضي النوبية بقيادة عبد الله بن السرح ، على الرغم من ذلك ، التقيا بكل منمشهد عدواني، وعدو مولع بالقتال حيث تركت قيادته مع الخضوع انطباعاً عميقاً على الغزاة المحتملين . وأفاد مصدر عربي بأن " المسلمين لم يتعرضوا أبداً لخسارة مثل تلك التي عاشوها في النوبة ". وبعد مرور عشر سنوات على ذلك ، ووضعوا الحصار على دنقلا القديمة، وقد تم إنهاء الأعمال العدائية بالتوقيع على اتفاق سلام ، "الباكت"، والتي تضمن السلامة الإقليمية للنوبة. على مدى القرون التالية، حيث طورت الممالك النوبية ماكوريا وعلوة ونوباطية ثقافة نابضة بالحياة .

مجيء الإسلام

على الرغم من أن المسيحية ظلت هي الدين السائد بوسط النيل حتى القرن الثالث عشر، بدأ المستوطنون العرب في الوصول قبل ذلك بكثير ، أولاً على طول ساحل البحر الأحمر عن طريق مصر ثم غربا إلى النيل وما وراءه . كان الاتصال بين الجزيرة العربية والسودان موجودًا قبل الإسلام بفترة طويلة . حيث كان هناك مساران رئيسيان : الأول يمر عبر صحراء سيناء عبر مصر وإلى السودان ؛ والثاني عبر باب المندب إلى الحبشة ثم إلى الشمال ، أو مباشرة عبر

البحر الأحمر. توفر شواهد القبور الإسلامية في القرن التاسع من خور نوبت في الصحراء الشرقية دليلاً مبكرًا على هذا الاختراق العربي . لقد ساهمت الهجرات اللاحقة للمجموعات العربية من شبه الجزيرة العربية للسودان إلى حد كبير في ثقافتها الإسلامية ، وأدت إلى بناء الموانئ والبلدات في بادي ، وإيداب وسواكين ، وفي فترة ما بعد القرون الوسطى ، في سنار والفاشر .

هناك دليل واضح على وجود المسلمين في المجتمعات المسيحية في النوبة . مجموعة كبيرة من المسلمين ، على سبيل المثال ، علي الأغلب تجار، متمركزة على ضفاف النيل الأزرق داخل عاصمة علوة في القرن العاشر. يبدو أن مواقف النوبة المسيحية في العالم الإسلامي قد تغيرت في زمن الحروب الصليبية . كان أول خرقر للتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين على النيل في عهد صلاح الدين ، الذي كان آنذاك حاكم مصر ، وقد أرسل أخاه شمس الدولة لمهاجمة النوبة في 1317. وقد شهدت القرنان التاليان جولات من الغزوات ، والعديد من التوغلات إلى عاصمة ماخوريا. وغالبا ما عجلت من قبل المدافعين المتناحرين لعرش ماكوريا التماس المساعدة من العرب إلى الشمال . في عام 1317 ، تم تحويل قاعة الجمهور الخاصة بملوك ماكوريان في أولد دونجولا إلى مسجد . بعد ذلك بوقت قصير تم تسجيل حاكم المملكة المسيحية على أنه مسلم .

إن تراجع مملكة علوة المسيحية إلى الجنوب ، غير موثق إلى حد كبير. يبدو أن الكنائس العظيمة المبنية من الطوب الأحمر في العاصمة قد احتلها الغزاة في وقت مبكر من القرن الثالث عشر. وقدأفادت المصادر مؤخرا بأنه قد تم الإطاحة بسوبا عاصمة الفونج في 1504 من قبل تحالف العرب وفونغ سنار ، تحت قيادة عبد الله جمعة وعمرة دونجوس . احتلت ولاية الفونج الجزيرة بين النيلين الأزرق والأبيض والممرات العليا للنيل الأزرق ووسعت سيطرتها إلى كردفان وإلى البحر الأحمر في منطقة سواكن . وقد ساهم بروز هذه الدولة في ظهور ممالك إسلامية في أجزاء أخرى من السودان ، مثل مملكة الفور ومملكة المسبعات في غرب

السودان ، ومشيخة العبدلاب ، وعاصمتها أولاً في جيري ثم في حلفايا بالقرب من الخرطوم ، ومشيخة البحر الأحمر وفازوغلي .

كانت مصر تحت السيطرة العثمانية منذ أوائل القرن السادس عشر ، وكان هناك وجود عثماني على ساحل البحر الأحمر في السودان ، في سواكن ، من عام 1524. وفي وادي النيل ، تم دفع الحدود العثمانية جنوبًا من أسوان إلى الشلال الأول ، ثم إلى الشلال الثالث . بإتجاه الشمال نحو النيل ، تواجهت مملكة الفونج المتوسعة وجها لوجه مع العثمانيين المندفعون في الاتجاه المعاكس . ترك الأنصار منطقة واسعة بعد المعركة في هانيك بالقرب من الشلال الثالث في 1584 ، خاضعة للسيطرة بين الموقع العثماني في جزيرة ساي ومنطقة السيطرة المباشرة للفونج ، المقابلة للحدود القديمة بين نوباطيا وماكوريا. وتميزت هذه الحدود بالحد الجنوبي لإقليم شمال إفريقيا التابع للإمبراطورية العثمانية . ولكن في أوائل القرن التاسع عشر ، كانت السيطرة العثمانية على الشمال قد انقضت ، وكانت ولاية الفونج في حالة تراجع مطرد .

شعوب وثقافات البلدين (الشمال والجنوب)

جون ريل

سواء كان السودان يعتبر دولة واحدة أو دولتين ، فإن التنوع الثقافي والتعقيد العرقي هما من بين أبرز ملامحه. ، تستضيف جمهوريتا السودان وجنوب السودان فيما بينهما ديانتين عالميتين ، وأنظمة معتقدات محلية لا تعد ولا تحصى ومئات اللهجات المحلية (تنافس أكثر الدول متعددة اللغات في أفريقيا ، نيجيريا ، والكاميرون ، وجمهورية الكونغو الديمقراطية) . تتنوع أنماط معيشة السودانيين المعاصرين من التنقل اليومي للطبقة الوسطى الحضرية في الضواحي المتوسعة نحو الخرطوم إلى الهجرات طويلة المدى لرعاة الإبل في الأراضي القاحلة في شرق السودان . وهي تشمل صفقات التجار والتجار المتجولين في المراكز الحضرية من وادي حلفا إلى جوبا ، والعمل الميداني للمزارعين المستأجرين في

الجزيرة ، والحركة الموسمية لحراسة الماشية في المستنقعات وسافانا بحر الغزال، والزراعة المحلية لسكان الغابات الاستوائية .

المجموعات العرقية في السودان عديدة ؛ كما أن الهوية الفردية والجماعية لها جوانب متعددة . يميز السودانيون أنفسهم – أو يميزهم الآخرون – باستخدام مجموعة من المعايير المتداخلة : خطوط النسب من سلف واحد ، أو لغة مشتركة أو مكان المنشأ، أو نمط المعيشة ، أو الخصائص المادية ، أو الانتماء السياسي أو الديني . قد تظهر الفئات الناتجة لإدامة الاختلاف ، لكنها تمكن أيضًا من عكس ذلك : ترتيب علاقات التبادل والتعاون بين المجتمعات . تتغير الفئات العرقية والفئات الأخرى وتعبر بعضها البعض ، وتعكس التواريخ المشتركة . لقد كان سكان السودان مرتبطين بالتدريج معًا على مدار السنين من خلال أنماط التجارة والهجرة ، واالقتصاد السياسي الناشئ الذي غيّر علاقاتهم إلى سلطة الدولة وإلى بعضهم البعض . وقد تم استغلال عملهم – وعمل أجدادهم – في كثير من الأحيان بالقوة، وتعديل أو تغيير سبل معيشتهم . لقد كانوا ضحايا وأدوات للاضطراب السياسي والدمار العسكري . لقد أجبرت مثل هذه الأحداث التخريبية ، لا سيما في الآونة الأخيرة ، الكثيرين ، لا سيما أولئك الذين يعيشون خارج قلب الشمال في وادي النيل ، على التحرك من أجل البقاء ، مما أدى إلى مزيد من التحولات الاقتصادية والثقافية .

يتطلب فهم هذه المجتمعات السودانية والعلاقات بينها نهجاً يجمع بين أشكال المعرفة الجغرافية والتاريخية والأنثروبولوجية . لهذا الغرض ، يمكن تقسيم السودان إلى عدد من المناطق . أحدهما هو قلب الشمال الذي يقع على طول النيل بين دنقلا والخرطوم ، وبين النيل الأزرق والأبيض ، والتي شكلت المركز الاقتصادي والسياسي للدول المتعاقبة في العصر الحديث . الثانية هي النوبة ، في أقصى الشمال نحو مصر. والثالث هو المنطقة الصحراوية في الشرق الممتدة إلى تلال البحر الأحمر والساحل ، ومنطقة رابعة تضم دارفور وكردفان في الغرب . خامسا ، الحدود الشمالية والجنوبية على طول الموازي العاشر ؛ سادسا ، السهول

الفيضية الواسعة للنهر الأبيض الذي يشكل قلب الجنوب . وأخيرا ، إلى الجنوب ، أبعد من ذلك ، وسابعا ، هضبة الأحجار الحديرية في الاستوائية ، على حدود جنوب السودان مع شرق ووسط أفريقيا .

لطالما عاش الناس من جميع هذه المناطق في المدن الكبرى في جميع أنحاء شمال وجنوب السودان (وفي البلدان الأفريقية المجاورة ، وفي الآونة الأخيرة – في مدن أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا) . ومع ذلك ، يظل الأصل المحلي والشعور بالانتماء المستند إلى النسب أو اللغة المشتركة هما العنصران الأساسيان للهوية بالنسبة لمعظم السودانيين ، حتى بالنسبة لأولئك المولودون والذين نشأوا بعيداً عن أماكنهم العائلية أو الأصلية ، مع تزايد أعدادهم . النسب هي اللغة الأساسية للرابطة الاجتماعية ؛ وكلما ازدادت المسافة بين مراكز السلطة ومدى وصول الحكومة المركزية كلما ازدادت الأهمية التي يحتمل أن تُمنح لها ، وأقل تقارباً في التذرع بهاعبر المناطق الجغرافية ، والتغييرات المقابلة في طرق إنتاجها ، وهي عملية تبدأ بالتوسع الأول من أوائل البشر إلى شمال شرق إفريقيا. وبالتالي ، تعد الجغرافيا التاريخية نقطة بداية لفهم جوانب معينة من التوزيع المعاصر للشعوب . هذا التنوع هو أيضا نتاج أحداث أكثر حداثة ، ومع ذلك ، عمليات التفاعل وإعادة التعريف التي لا تزال جارية . وكما كتب الروائي الإنجليزي السوداني جمال محجوب ، فإن للسودان تاريخاً متعدد الطبقات ، وهو التاريخ الذي " تبلور من بوتقة الاحتمال " .

الهجرة والتوطين وتشكيل الدولة

تبعت الهجرة غير المعلنة للصيادين والجامعيين في شرق إفريقيا قبل التاريخ ، أولاً ، من خلال إدخال الحيوانات الأليفة من آسيا ، ولا سيما الأبقار التي تشبه الثيران البرية ذو القرون الطويلة ، والتي لا تزال أحفادها مصدر رزق لأصحاب الحظائر في جنوب السودان والأراضي الحدودية الشمالية والجنوبية . ثم تم إدخال الزراعة – حول القرن الخامس قبل الميلاد – .

الدول التي نشأت في وادي النيل بعد ذلك إستحقت ثروتها وقدرتها على إمكانية إنتاج فوائض غذائية من عمالة العبيد ، وعادة ما تمتم مداهمتها من سكان الجنوب (غارات نفذتها جيوش العبيد نفسها) واستخراجها الموارد مثل الذهب والعاج والجلود والخشب . استمر هذا النمط من التراكم من خلال صعود وسقوط الممالك النوبية في عصر ما قبل المسيحية ، من خلال الممالك المسيحية في العصور الوسطى ، إلى الأنظمة السياسية الإسلامية في القرن السادس عشر وما بعده . لا يزال يمكن رؤية تراثها في العلاقات بين الأعراق في السودان اليوم . في العصر الحالي ، كان أهم حدث في التاريخ الديموغرافي والاجتماعي للسودان هو عملية التعريب والإسلام ، وهو تغيير تاريخي حَوّل المجتمعات المحلية عبر القارة الأفريقية . بعد ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي ، نجح النمط السابق لتبادل السكان على نطاق صغير بين الجزيرة العربية وأفريقيا بعملية طويلة الأمد ضمت الهجرة المادية للبشر من شبه الجزيرة العربية مع استيعاب واسع بين هؤلاء المهاجرين . والشعوب المحلية الأفريقية ، وإنشاء شبكات تجارية تربط مصر والشرق الأوسط بغرب أفريقيا . في الوقت المناسب ، كان هذا هو جلب دين جديد ولغة جديدة ومصدر جديد للتنظيم الاجتماعي إلى منطقة تمتد من السنغال إلى البحر الأحمر ، المنطقة المعروفة للعرب باسم بلاد السودان ، " أرض السود " .

في أعقاب الفتوحات الإسلامية الأولى لشمال إفريقيا ، تبعت أعداد صغيرة من التجار المسلحين وادي النيل جنوبًا إلى النوبة: سجلت إتفاقية "باكت" ، الذي يعود إلى القرن السابع ، تأسيس العلاقات بين الحكام المسلمين الجدد في مصر والملوك النوبيين الأصليين ، والتي تميزت بتكريم سنوي للعبيد . في وقت لاحق ، في القرن الرابع عشر ، شجع الصراع في مصر الهجرة العربية جنوبا إلى النوبة ، ومنذ القرن السادس عشر وما بعده ، ازداد تعريب منطقة وسط السودان .

وقد تميز هذا الاختراق الثقافي من قبل بعض المؤرخين على أنه عملية غير عنيفة في الغالب، تنطوي على التقديم التدريجي للسكان الأصليين عن طريق الزواج

والانتشار. في هذا السياق ، كان حاملو الإسلام النموذجية هم رجـــال ومعلمـــين متجولين (و أحياناً أيضاً تجار) . وجاءت مع هذا الانتشار البطيء لمحـــو الأميـــة وقواعد جديدة من القرابة ، التي أعطت المجتمعات الإسلامية الحديثـــة الفرصـــة لتكوين خطوط من أصل وطني تربطهم بعائلة الرسول محمد أو أتباعه ، وبالتالي دمج الثقافات المحلية المتنوعة في هوية عرقية عربيـــة . إن أســـطورة الغريـــب الحكيم ، وهو سلف مؤسس من أصل عربي ، والذي يتم منحه لابنة حاكم محلـــي في الزواج ويصبح حاكمًا في دوره ، منتشر على نطاق واسع بين المجتمعات في شمال وغرب السودان .

منذ القرن السادس عشر ، ظهرت مراكز جديدة للسلطة في المنطقة التـــي كانـــت ستصبح السودان: مملكة الفونج في وادي النيل حول سنار – وهي منطقة لا تزال جزءاً رئيسياً من قلب الدولة الحديثة في شمال السودان – وفي الغـــرب ســـلطنة الفور وسلطنة المساليت ، كلاهما عانى في القرن العشرين . كان حكـــام وتوابـــع سلطنات الفور والمساليت مسلمين ، لكن معظمهم لم يعتنقوا هوية عربية بالطريقة التي جاء بها بعض شعوب الفونج الأقرب إلى النيل . كما أنهم لم يتخلوا عن لغتهم الأم . واليوم ، هناك قطاعات كبيرة من سكان شمال الســـودان – فـــي دارفـــور وأماكن أخرى ، بينما تمارس الإسلام وتتحدث إحدى اللهجـــات الســـودانية للغـــة العربية كلغة مشتركة ، تحتفظ بلغاتها الخاصـــة . فهـــم يظلـــون متميـــزين عـــن المجتمعات العربية التي تعيش جنباً إلى جنب أو فيما بينهم . و يمكن التأكيد علـــى هذه الاختلافات محليا ، في المناطق الريفية، من خلال الاختلافـــات فـــي طـــرق المعيشة – معظم الجماعات العربية في دارفور، على سبيل المثال ، هم في المقام الأول من الرعاة الرحل . في حين أن العديد من المجموعات غير العربية هم من المزارعين المستقرين . لكن العرق وسبل العيش لا ترسمان على بعضهما البعض بأي تناسق: يمكن لغير العرب أن يكونوا رعـــاة ؛ المجموعـــات والأفـــراد مـــن الأصول العربية قد يستقرون ويصبحون مزارعين .

الهويات العربية في شمال السودان

يمكن رؤية الحدود التاريخية للتعريب في التوزيع العام للغـــات والثقافـــات فـــي السودان المعاصر. في المناطق الوسطى من شمال السودان في وادي النيل، تشير الغالبية العظمى من السكان إلى أنهم ينتمون إلى واحدة أو أكثر من اثني عشـــر أو أكثر من المجموعات القبلية العربية : يمارسون الإسلام، ويتحدثون باللغة العربية فقط . هؤلاء أبناء النهر ، أولاد البحر ، سيطروا على دولة ما بعـــد الاســـتقلال . لكن في أقصى الشمال والشرق من البلاد ، كما هو الحال في دارفـــور، لا تـــزال اللهجات غير العربية يتحدث بها، ويتم الحفاظ على الهويات الغير العربية .

في الشرق، يحافظ البجا ، وهو شعب قديم يزيد عن مليون نسمة ، ويشغل معظـــم ولاية البحر الأحمر (والتي تعبر وجودها هناك منذ العصور القديمة)، يحافظ ، في الغالب، على الاختلافات الثقافية الواضحة من المجتمعـــات العربيـــة المجـــاورة ، سواء أكانوا يواصلون حياة البجا التقليدية كمربين للجمال في الريف، أو يعيشـــون في بلدات مثل بورتسودان ، حيث اضطر كثيرون منهم إلى الهجرة بسبب الجفاف . وهنا قد تكون اللغة العربية هي لغة الدين والحكم والتجارة ، لكن لغة البـــداوي، هي لغة البجا، و تشكل نسيج الحياة المنزلية اليومية . في النوبة ، بين وادي حلفا، على الحدود مع مصر، ودنقلة في الجنوب ، ولا يزال يتحدث العديد من اللغـــات القديمة ، على اقل تقيدر من قبل الجيل القديم . ويمكن تمييز آثار الثقافـــة النوبيـــة قبل الإسلام من دونقلا، بين الشعوب الأكثر تعريباً نحو وســـط الـــبلاد . جنـــوب الخرطوم ، وراء كوستي، حدود التأثير الثقافي العربي الإسلامي تتزامن ، إلى حد ما ، مع الحدود بين شمال وجنوب السودان (على الرغم من أن اللغة العربية هـــي اللغة المشتركة في الجنوب) .

إن النخب المثقفة والمكونة من ثلاث مجموعات في وسط وادي النيـــل ، وهـــي المجموعات التي برزت في فترات الاستعمار التركي المصري ، وقد احتكـــرت ، إلى حد كبير، سلطة الدولة في حقبة ما بعد الاستقلال . ويعتبر الجعليين هـــم أول هؤلاء، وهم مجموعة فرعية لها مركز تاريخي فـــي شـــندي . كما أن الجعليـــين

هيمنـوا تاريخياً على التجارة والأعمال في بلدات ومدن الشمال ، وحتى فـــي الحرب الأهلية الثانية في الجنوب . أما المجموعة الثانية من المجموعات الرئيسية في السياسة الشمالية فهي مستمدة من الشايقية ، وهي اتحاد قبلي معروف تاريخيـاً بالمقاومة الأولية للغزو التركي– المصري للسودان والتعاون اللاحق مع الغـزاة ، وفيما بعد من أجل هيمنتها على القوات المسلحة السودانية .

ثالث المجموعات النهرية التي أنحدر منها النخب السياسية هي الدناقلة، يتواجـد الدناقلة في كل بلدة ومدينة في الشمال (مثل الشايقية والجعلية) ، في حين تحـافظ مجتمعات الدناقلة على الحياة الريفية التقليدية مثـل مزارعـي النخيـل ، الـذين يزرعون قطاع الأراضي الخصبة على طول ضفاف النهر في اتجاه منحنى نهـر النيل . والتي لاتزال اللغة النوبية سائدة فيها ، مما يضيف نغمة هامة إلـى هويـة ثقافية عربية مغايرة .

تقع أراضي العرب الرحل ورعاة الماشية في اقصي شمال السودان ، و بعيـدا عن النيلين، وفي كردفان وأجزاء من دارفور . العديد من العـرب فـي كردفـان ودارفور يتتبعون أسلافهم، على الأقل اسمياً ، إلى الموجة ثانية من الهجـرة فـي وقت ما بعد القرن السابع عشر، والتي دخلت السودان مـن الشـرق . وتختلـف تقاليدهم وأساليب حياتهم – وأصولهم التاريخية – عن تقاليـد المـزارعين الـذين يعيشون على طول النهر وأقاربهم الحضريين في وسط المـدن . ويـنعكس هـذا الاختلاف في الاستخدام المتناقض لمصطلح " العربي" في المجتمعـات النهريـة : يمكن استخدامه كوصف ذاتي، يمكن استخدامه أيضاً فـي الإحسـاس الازدرائـي إشارة إلى البدو الرحل الذين يعيشون في الصحراء .

الكبابيش، وهو اتحاد كونفدرالي حديث العهد من رعاة الإبل الذين يعيشـون فـي الأراضي القاحلة في شمال كردفان ، وقد نظر إليها على أنها تمثل طريقـة حيـاة الشعوب العربية التي تعيش في الصحراء – رغم أن العديد مـنهم عاشـوا منـذ الثمانينات في فقر على على هامش أمدرمان ، بعد أن فقـدت مواشـيها بسـبب الجفاف وسوء الحكم . توجد في شمال كردفان وشمال دارفور مجموعات أخـرى

عديدة من قبائل أبالة – وهي قبائل ترعي الجمال – تكتسب معيشتها من البيئة القاسية ، كرعاة وحصاصدي الصمغ العربي . وفي جنوب دارفور وجنوب كردفان – في الجزء الشمالي من الحدود الشمالية – الجنوبية حيث تتوسع هطول الأمطار ويتوسع معها إمكانيات تربية الماشية ، حيث يوسع معدل هطول الأمطار من إمكانيات تربية الماشية، وهو عبارة عن حزام واسع من الشعوب العربية التي ترعى الماشية ، والمعروف بشكل جماعي باسم البقارة (ويشتق اسمها من المصطلح العربي للبقرة) . وتشمل مجموعات البقارة الحوزة ، والمسيرية ، والرزيقات ، والتعايشة والهبانية و غيرهم من العرب الرحل ، فإن هؤلاء البدو الرحل من الغرب قد استوعبوا السكان الأصليين سياسياً واقتصادياً ، في حين أن أنفسهم كانوا مستوعبين جسدياً ، وهو أصل مرئي في درجات لون البشرة أغمق من ألوان معظم السودانيين العرب الآخرين، يميلون الي السواد مثل العديد من الجنوبيين .

1. Introduction: Many Sudans

John Ryle & Justin Willis

The future of Sudan, in the second decade of the twenty-first century, is filled with uncertainty. As of 2011 it ceased to be a unified nation state; and the process of territorial separation of north from south could well be accompanied by a renewal of conflict. The Sudan that was created in the nineteenth century through invasion and imperial rule by Egypt and Britain no longer exists. This represents a radical change.

Whatever happens in coming years, however, events will continue to be shaped by the legacy of nineteenth-century state-building, by the conquests that preceded imperial rule and the political projects that followed it in the post-independence era. An understanding of events as they unfold today needs to be informed by a knowledge of what lies behind them: an understanding of the geographical, cultural and histor- ical components of the country that has been created over the past two centuries, and the repeating patterns of state formation and decay which have shaped and been shaped by its political institutions and economic history.

In 2004, in order to focus attention on these issues of politics and development in Sudan, the Rift Valley Institute organized the first Sudan field course. The course has been held each year since, then, usually in Rumbek Senior Secondary School, in Lakes State. It consists of a week of intensive teaching covering all aspects of the country and brings together a teaching staff – mostly professional academics, both Sudanese and non-Sudanese – and a student body composed of diplomats, humanitarian workers, development professionals and graduate students from Sudanese universities. *The Sudan Handbook* reflects the spirit of collective enquiry, diversity of views and sharing of

expertise that has characterized the course from its early days.

The Course began at a moment of optimism. By early 2004 it had become clear that, despite many delays, the negotiations in Kenya between the Government of Sudan and the Sudan People's Liberation Movement, first at Machakos and then at Naivasha, would soon lead to a binding peace agreement. The accords which had already been signed offered a commitment from both sides to a comprehensive political transformation, one that would address fundamental issues of inequality,

injustice and popular representation. There seemed a real possibility that the conditions of life for millions of people all over Sudan might be dramatically improved.

But it was also clear that the conflicts which had ravaged the country for decades could not simply be wished away by signatures on a peace agreement. These conflicts were the product of long-established patterns of authoritarianism on the part of the Sudanese state that would prove hard to break away from. They were themselves generated or exacerbated by earlier projects of national transformation that had been pursued with little or no regard for the interests and opinions of most of those affected by them. There was clearly a danger that an elite peace agree- ment between the warring parties – the Comprehensive Peace Agreement was finally signed in Naiv asha the following year – might have the same outcome.

In 2004 it was already apparent that the oil industry would bring new wealth to Sudan. Oil served both to fuel the war and to create a potential peace dividend, a factor that helped bring the belligerents to the negoti- ating table. Even before the peace agreement the violent interventions in the oil areas that occurred during the war were coming to an end. But it seemed that the wartime sufferings of the Sudanese might be about to be replaced by new problems of peace.

The years following the CPA were to see sudden unplanned influxes of capital, a huge increase in the presence of both oil workers and aid workers, grand development projects, most of them undertaken in haste, with little local consultation and no sense of historical context. These projects seemed likely, at the local level, to exacerbate existing conflicts

or create new ones. What began to manifest itself was the latest variant of what Joseph Conrad referred to as a 'fantastic invasion', the intervention in Africa by outside forces: a new phase of foreign involvement in the national affairs of Sudan under the auspices of an amalgam of commercial interest, humanitarianism, peace-building and counter-terrorism.

The Sudan course was designed to offer, among other things, a critical perspective on such developments, based on an analysis of the role of the state in Sudanese history and the stratagems it had developed over time for extending its power to the peripheries of the country. The course included a consideration of the history of development and the impact of previous international interventions. It drew attention to the risk of repetition of the errors of the past, and the ways in which aid and develop- ment could contribute to political disequilibrium.

For a short course this was a tall order. Sudan's borders encompass a huge diversity of territory, peoples and ways of life. It would be implausible to claim that a one-week event could provide a comprehensive understanding of a country or its people. And clearly it did not. What the course provided was as much useful knowledge – and as coherent an analytical approach – as it was possible to fit into six days of inten- sive, dawn-to-dusk study. The staff of the course has certainly reflected the diversity of the field: Sudanese academics and activists from almost every region of the country have taught on the course in the past seven years, alongside expatriate specialists whose views and fields of expertise are equally various. Although the course is short, it offers something unavailable elsewhere. And the risk of presumption on the part of those who make it their business to study Sudan is clearly eclipsed by the greater risk of ignorance – by the suppression of free speech on the part of governments in Sudan, by the decay of standards in higher education and by institutional amnesia on the part of international agencies and representatives of donor nations. It may be argued, in fact, that those who have had the privilege of living in Sudan as researchers and scholars have an obligation to find ways to impart their knowledge to a new generation that has the chance to influence future events. Such was the thinking of those who devised and taught on the course.

In the years since 2004, the optimism of Naivasha has evaporated. And it has become clear that the concerns which drove the establishment of the Sudan course were all too justified. The Comprehensive Peace Agreement has been undermined; largely owing to the embedded authoritarianism of the Sudanese political elite. The war in Darfur, in western Sudan, has generated a repetition of the horrors of the war in the south. And the resolution of this conflict in the west has become entwined with the north-south peace process. The global response to the decay of political goodwill in the years following the Comprehensive Peace Agreement has been disjointed: there has been widespread condemnation of the actions of the Government of Sudan; at the same time donor countries have significantly increased levels of aid. China and other Asian countries have expanded their capital investment, particularly in the Sudan oil industry, while Egypt and other middle-eastern countries are involved in large-scale hydrological projects on the Nile.

Never has it been clearer that the problems of Sudan stem from the concentration of economic and political power at the centre of the country and from the destructive means that the central state has employed to maintain and extend that power. Yet the diversity of Sudan is its most salient characteristic; and no political dispensation will work that does not recognize this. The Handbook aims, accordingly, to provide a sampling of knowledge about all areas of the territory that has historically constituted Sudan, and the multiple cultural and political realities within it: the peoples who live there, their past and their present, and their relation to successive governments. It offers a critique of the ambitions of the state and of the practice of political power, in the hope that the long story of misgovernment in Sudan may yet be modified.

Mapping Sudan

One way of looking at Sudan's history used on the Sudan Course is as a story of maps: of making maps, arguing over them, and remaking them. Maps of Sudan show not just how the borders of the country have

changed over time, but how the very idea of a country with the name Sudan came into being, relatively recently in history. Map-making also offers an extended metaphor for the construction of knowledge, a way of understanding the many layers of information about the country that are offered by different disciplines, and their relation to the lived realities of Sudanese people.

In the early nineteenth century, when Muhammad Ali of Egypt sent his armies south, there was no single name for the lands they were to conquer. For hundreds of years, the belt of Africa south of the Twentieth Parallel North had been known generally as *Bilad al-Sudan*, 'Land of the Blacks', but on the largely empty spaces of the maps which showed the territories south of Egypt there were multiple names – Nubia, Kordofan, Sennar, Darfur. For want of any other general term to describe the realm over which Muhammad Ali and his descendants gradually, and erratic- ally, asserted their control from the 1820s to the 1870s – a realm that included the ancient centres of civilization in the Nile valley, the deserts of the north, the forests of Equatoria and the swamps and savannahs in between, and whose inhabitants included Arabs and non-Arabs, Muslims and non-Muslims, city dwellers and nomads and sedentary farmers – in the absence of a term to signify this vast realm, the word 'Sudan' crept into use, first in Egypt, then in Europe.

In 1880s, when Europeans wrote of the state created by the Mahdi after the collapse of Egyptian rule, they called it 'the Sudan' – though the Mahdi and his followers did not use this term. At the end of the 1890s, with the defeat of the Mahdists and the establishment of Anglo-Egyptian rule, 'the Sudan' became fixed as the title of a political unit, its borders defined partly by the historic claims of Egypt and more immediately by the claims of Britain, Belgium, France and Ethiopia to the land around it. There were still many empty spaces on the maps; but now the word Sudan was written across them.

Whether the Sudan – or simply Sudan, as it is now more usually called – should stay the shape shown on those maps has been the subject of intermittent debate ever since. In the first half of the twentieth-century, the major question was whether Sudan should exist at all as a separate

entity, or whether it should rather become a part of a greater Egypt. As this debate faded, rather abruptly after independence in the 1950s, the debate – and violent conflict – came instead to revolve around the shape and political nature of Sudan itself. Should Sudan incorporate all of the territory ruled by the Anglo-Egyptian state, or should this colonial creation dissolve with the departure of the foreign rulers who had brought it? If the state was to maintain the physical shape of the Anglo-Egyptian Sudan, how could it move beyond the stern, centralizing ethos which had maintained imperial rule? For more than fifty years these questions have persisted. The central state has been challenged from the South and the West and the East. And today the Sudan created through those acts of nineteenth-century imperial expansion, having failed to escape its authoritarian heritage, has ceased to exist.

But that will not end the questions over where lines should be drawn on maps, or over what Sudan is, or was, or should be. The legacy of map-making is a complex one. The outline of Sudan on the map was itself not completely fixed by 1900: in the early twentieth century, the 'Lado Enclave' in the south-west, which was briefly a personal domain of King Leopold of Belgium, ruler of the Congo Free State, became part of Sudan; in 1916 the western sultanate of Darfur, which had largely maintained its independence and only briefly been under Egyptian rule, was violently incorporated into 'the Sudan' by the British; in the 1930s, a wedge of land in the north-west was given to the Italian colony of Libya. Even now, in the extreme north-east and south-east, Sudan's borders remain the subject of dispute, with the Halaib Triangle and the Ilemi Triangle, formally claimed by Sudan, effectively controlled, respectively, by Egypt and Kenya.

And within those borders, there have also been multiple disputes. As the spaces on the maps have been filled in – with the lineaments of rivers and hills, internal administrative boundaries, the names of settlements, the territories of particular communities – the accumulation and recording of knowledge has itself functioned as a kind of violent incorporation. Here, as elsewhere, maps have been an essential tool of government: for administration, ordering and control, and in

fulfilment of the state's ambitions to change the lives of people through the provision of services.

The Anglo-Egyptian government was quick to create a survey department, which by the 1930s had produced maps for the whole of the Sudan; until relatively recently these maps were still the best available for much of the country. Mapping made administration possible, but the cartographic enterprise is never a simple recording of knowledge. Names – and the spaces they described – were changed and distorted, as strangers (whether Europeans, Egyptians, or people from other parts of the Sudan) struggled with pronunciation and spelling, or with the existence of competing claims to land on the part of different communities on the ground. The act of mapping can be a process of physical dispossession: entire communities may find that maps misplace them, or omit them, and so compromise their established use of land or water. It can also involve social or cultural depletion: the name for the hill where you live may, deliberately or inadvertently, be obliterated by cartographers in favour of the name given to it by your neighbor, an ethnic group that has more educated members and administrative influence and harbours expansionist ideas. Or your community may find itself arbitrarily confined – by the drawing of a line on the map – to an administrative unit with other people whose lives and language are very different.

Today, maps are again at the centre of political debates over Sudan's future. The argument over the boundary line between north and south Sudan has shown both the power and the weakness of cartography. When the Comprehensive Peace Agreement (CPA) stipulated that the Abyei dispute should be settled through a commission which would determine the boundaries of the Ngok chiefdoms that were transferred to Kordofan in 1905, it both acknowledged the potential power of maps and showed a misplaced faith in their straightforwardness. There were no maps which showed those boundaries as they were; and when the chosen Commission tried to create one as the basis for a judgment, it was rejected as inaccurate. The CPA also referred to the provincial boundaries of 1 January 1956 as marking the line between north and south – a line which

may become an international border. Choosing a date, and a definition, gave those who drafted the agreement the feeling that they had made an unambiguous decision, sanctioned by the authority of the map. Yet that line is uncertain; both because there were multiple minor changes in administrative boundaries over the years, and because of confusions and errors in the maps of the 1950s, which make exact delineation of the boundary problematic. The precise boundary between north and south will take a long time to agree on. The quarrel over this line and other, pre-existing border disputes between Sudan and Egypt, Kenya and Ethiopia, mean that the very shape of Sudan has become problematic once again.

Local Knowledge, Global Power

The story of the maps of Sudan also illustrates the problem of knowledge itself. It is a reminder that the developing technologies of information gathering – compass and rule, plane table and alidade, aerial survey and satellite image – exist in a relation of tension with local knowledge, with indigenous understandings of rights in land and natural resources, and the meanings given to features of the natural world. Reconciling these two forms of knowledge is a process similar to what cartographers call 'ground-truthing' – the process of walking the land and discussing its features with those who live there. Only such a process can turn latitude and longitude, and contours and boundary lines, into a landscape which is recognizable to those who live in it.

The work of getting to know a place and its inhabitants has too often been neglected by the agents of development, by aid officials and government employees in a hurry to finish a survey, or complete a project. Enduring errors in cartography, on the one hand, and long-term failure of projects, on the other, are the result of such haste. Ground-truthing is time-consuming; and it is not without its own areas of ambiguity. Thus there may be competing truths on the ground: different ways of seeing the landscape; more than one name for the same feature; and more than one claim to a single area of land. Maps that show local understandings of

landscape are more complicated than those that simply impose borders and names. And development programmes that engage long term with local institutions are far harder to design and maintain.

Sudan's economic history in the modern era, by contrast, has been characterized by top-down state interventions. These have been ostensibly designed to improve, to make more productive. The extent of governmental ambitions has varied, but the servants of a succession of regimes have all have believed that they possess kinds of knowledge which are superior to local knowledge; it is those kinds of knowledge which have informed their policies and give them the right to instruct, cajole and sometimes coerce, and to reshape the land. The imperial project, and the state-building projects that succeeded it – in Sudan as elsewhere – incorporated mapping as an element in the imposition of order on places and populations under their control. The maps reveal the authoritarian character of the project. The aim is transformation. The assumption, all too often, is the superior knowledge of the government servant or technical consultant.

In the Condominium era the government of the Anglo-Egyptian Sudan produced an *Almanac:* a small reference book for the use of officials. The information in the *Almanac* included weights and measures, ranks and titles, travel times and postage costs; within its pages an official could find instructions for building a platform on which to take the salute from his subject, or details of the penetrating power of a .303 bullet at different ranges. The *Almanac* was a summary guide to the knowledge by which Sudan and its people were ordered and ruled: practical in its relevance to the tasks of administration, and at the same time reassuring to those it was intended for in its evocation of a system of knowledge which reached far beyond Sudan itself. With map in hand and *Almanac* in pocket, the official was a travelling locus of order. Of course, the *Almanac* did not contain all the information that an official might require. Local knowledge was sometimes required to help implement projects of change, whether these involved collecting tax, setting up a market or imposing new laws. The official might well need to know who lived in a place, the name for a river, or the time of year when people planted certain crops.

And they took copious notes on such things. But the nature of the project was decided by the superior knowledge brought by the state and its experts, just as the defining elements of the map – the need for borders, unambiguous names, points and lines – were ordained elsewhere.

The *Almanac* carried by officials of the Condominium is no more, but successive generations of officials and experts have continued to apply external sources of systematized knowledge in a not dissimilar way, particularly in the rural areas of Sudan. Experts still come from outside – from Britain or Egypt, as in earlier generations – or from the US, China or India. And, increasingly, they come from within Sudan itself. This does not mean that the projects that Sudanese specialists design are drawn up in any more productive consultation with the communities they affect. The language of such projects is likely to invoke an idea of national development, or a global philanthropic imperative, or the pure spirit of exploitative resource extraction. It may assert the need to earn foreign exchange, or raise revenue from taxes, or ensure food security, or provide health services. What such projects seldom do is stress local knowledge and self-determination. Most development projects in Sudan are still driven by a state which sees its subjects from a distance, from a commanding height: they are large-scale projects driven by the urgent needs of the state for resources and revenues, to be forced through without consultation; dams, oil wells and pipelines plotted onto the spaces on the maps, imposed on the landscape, and then recorded by new maps.

Other projects are devised by international agencies who see their work as a matter of global poverty reduction and their 'clients' as undifferentiated members of a class of needy people. But the poverty they seek to alleviate is largely the result of the policies of the governments under whose auspices they work. Effective intervention in such a paradoxical situation needs to be informed by a careful understanding of local interests and long-term development possibilities. It is only in this nexus between local knowledge and global information that sustainability is possible.

Yet international experts rely heavily on forgetting. Sudan's past is littered with development projects. Some have vanished without

trace, others have spawned monstrous offspring, like the mechanized farming schemes in the East and the central belt. These were imagined as the route to food security and prosperity, but have instead generated insecurity and conflict across swathes of land. The history of deleterious development interventions is rarely considered. And few experts are prepared to locate themselves in this history of failure and unintended consequences. For them, Sudan's history is too often told simply as a story of conflicts produced by local rivalries, probably between one ethnic group and another, usually over resources, sometimes over religion, which have raged despite the best efforts of benign interventions to settle them. This history is conceived as a *tabula rasa*.

The old *Almanac* was important to colonial officials, not simply because it gave them useful information; but more fundamentally, because it offered reassurance that they belonged to a system of knowledge which was internally consistent and which transcended the communities which they governed, one that was not constrained by the complicated local histories they found themselves unknowingly intervening in. It was this which gave them confidence and self-belief – in combination with their access to superior technologies of communication and, on occasion, violent coercion. This kind of ideological reinforcement has made genera- tions of experts powerful. The awareness that there are other kinds of knowledge – that there might be more than one kind of chief, that the river has different names, that people's movements across the landscape follow a logic of their own, and that they may owe no loyalty to govern- ments nor any other power – such awareness is liable to complicate both the lives of experts and the rule of autocrats.

Many Sudans

Debate over what shape Sudan should be, and over the relationship between the state and its people have characterized political discussion in Sudan since well before Independence. Such debates are bound up with the telling and retelling of history, as people explain, justify and make claims through reference to the past. In the South, the recent

history of the Sudan is represented as a history of lost opportunities, of agreements with the government in Khartoum that have been repeatedly dishonoured. Before that, for many Southerners the story of Sudan is a story of slavery, of the nineteenth century depredations of raiders from the north. But among the people of the riverain north the story is different. Here slaves are invisible; the main story is one of struggle for independence from external powers – external, that is, to the country that was not yet then Sudan. Thus, in Khartoum, primary school children are trained to re-enact the story of Mek Nimr, a traditional leader who, in 1822, killed the tyrannical son of Muhammad Ali of Egypt. These schoolchildren, growing up in a divided country, are rehearsing what is seen in the north – or parts of the north – as the seminal, unifying moment in the history of Sudanese nationalism. Yet Mek Nimr himself lived before there was anywhere called Sudan and had no idea of a Sudan, or of himself as Sudanese. And in southern Sudan, few people have ever heard of him.

A version of Sudanese history which celebrates the idea of a unified state, shaped by the encounter with Egyptian and British colonialism has been inscribed onto the map of Khartoum, where the names of streets are a roll-call of characters from a northern nationalist version of history: Mahdist generals, the sectarian leaders of the early twentieth-century and the young men of the White Flag movement who proclaimed resistance to British rule in the 1920s. But not all the people who live in Sudan share a sense of the significance of these names. In Khartoum, the name of Abu Garga may be synonymous with heroic national struggle against Egypt or Ethiopia; but in the Nuba Mountains it evokes another bleak episode in a history of state violence; in Equatoria it means nothing. For southerners, Zubeir Pasha Street brings to mind not a great national figure, but a slave trader.

The Islamist project of the 1980s was an attempt to impose a new kind of national identity on Sudan, one that saw the country's religious and cultural diversity as something to be overcome in the name of a single unifying belief system. Some Islamist thinkers hailed 1989 as the moment of final liberation from colonial rule, blaming the country's troubles after

independence on the corrupting power of a secular western imperialism that sought to continue its control of the country. But for most southerners and many northerners the Islamist vision of the country was anathema, denying the value of their culture and the meaning of their historical experience. The civil war in southern Sudan was aptly called a war of visions.

Sudan, it may be argued, has no single history; it has multiple histories, a clamour of competing versions of what matters about the past. The diversity within Sudan consists not just of the great plenitude of communities, languages, belief systems and ways of life that it contains. It also includes a radical diversity in ideas about what Sudan is that are entertained by members of these communities. Different histories, and different ways of understanding the relation of particular communities to the centres of power and to the governments that have tried to assert control over them – these histories are playing a key role in the current transformation of the Sudanese state.

As Sudan enters a new phase of radical political and administrative restructuring, it becomes more important than ever to understand the variant histories that exist in the minds of Sudanese themselves. There are, it is clear, many Sudans, both real and imaginary – and many more possible Sudans. No account of these myriad visions of the country can be definitive. The Sudan Handbook does not aspire to be a new *Almanac*. It does not offer a systematic account of the country, nor does it provide information in a form meant to be applied to the design of develop- ment projects. What it offers, in the spirit of engagement with Sudanese visions of the future, is a critical guide to current knowledge, a collection of essays on key aspects of the country, written from a range of disci- plinary points of view. In these essays are a variety of perspectives on the past and present of the lands that lie within the historical boundaries of Sudan – and the peoples that have lived and continue to live there.

2. Land & Water

Justin Willis, omeR egemi & PhiliP WinteR

The Anglo-Egyptian Condominium of Sudan was the largest of the political units created by imperialism in Africa. It has grown and shrunk a little over time, gaining Darfur in 1916 and losing a corner to Italian- ruled Libya in 1934, taking its overall size to just below one million square miles (2.4 million square kilometres). But the territory controlled, at least nominally, by the Sudanese state remained – up until 2011 – larger than that ruled by any other African government.

The Condominium was divided for most of its existence into nine provinces. Six of these came to be considered as 'northern', and the other three as 'southern'. These provinces were subdivided in the 1970s, restored briefly as states in a major administrative restructuring in 1991, then divided again in 1994, in a further restructuring which produced 26 states. (One of these, West Kordofan, was subsequently merged into two of the others). Although Sudan has had a state system for two decades, it is not uncommon to hear people using the old system of nine provinces.

The terrain covered by these states and provinces ranges from the Nubian desert in the far north – the easternmost extension of the Sahara, where there is virtually no rainfall – to the swamps and forests a thousand miles (1600 kilometres) southward, where up to 200 centimetres of seasonal rain a year swells rivers, brings floods and feeds a permanent swamp in the central southern plains. In the far north, along the Twenty-second Parallel, Sudan borders Egypt; in the south, around the Fourth Parallel, just north of the equator, it marches with the countries of east and central Africa.

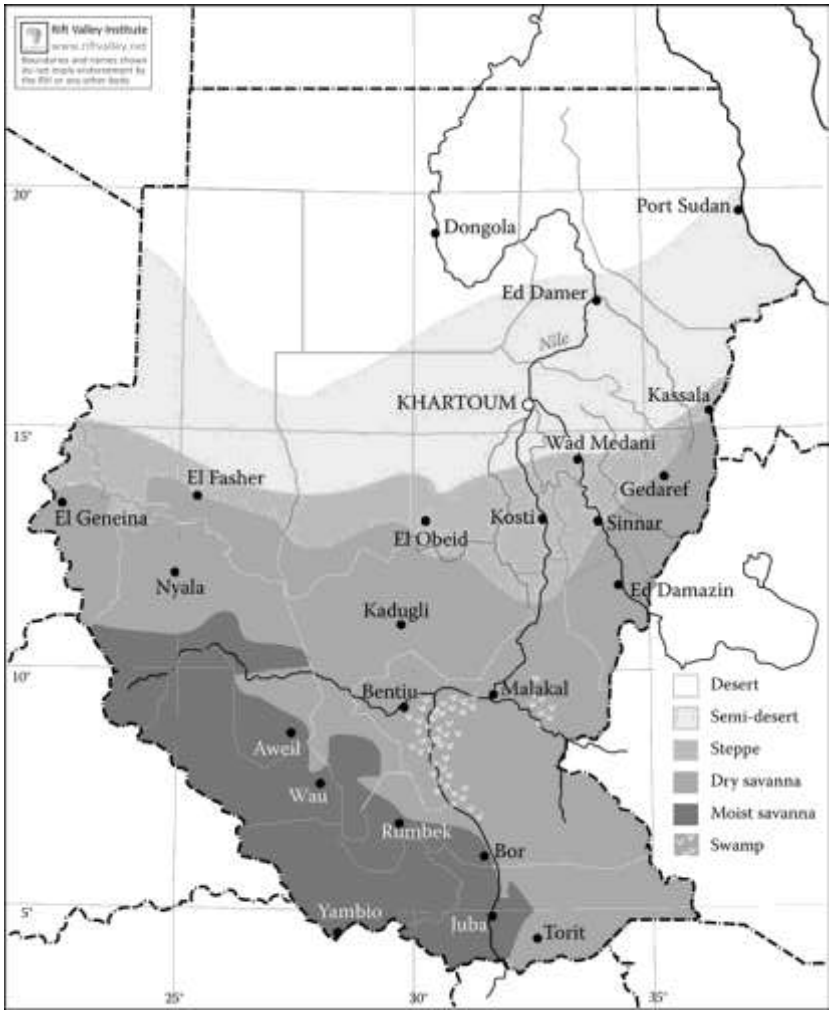

Rift Valley Institute
El Geneina
Nyala
El Fasher
Aweil
Wau
Yambio
Rumbek
Bentiu
Kadugli
El Obeid
KHARTOUM
Dongola
Ed Damer
Nile
Port Sudan
Kassala
Gedaref
Wad Medani
Sinnar
Kosti
Malakal
Ed Damazin
Juba
Bor
Torit
Desert
Semi-desert
Steppe
Dry savanna
Moist savanna
Swamp

The two regions are linked by the Nile. The White Nile flows from its source in Rwanda and Uganda into the southern part of Sudan, where it is known as Bahr al-Jebel, the River of the Mountain. It flows past Juba, the southern capital, then slows and spreads out in the swamplands of the Sudd (a name derived from the Arabic word for obstacle). As the Bahr al-Jebel flows through the Sudd it is fed by a number of other rivers, the most important being the Bahr al-Ghazal, which is created by the waterways of the Nile-Congo watershed. The White Nile proper begins when the Bahr al-Ghazal meets the Bahr al-Jabal. The Sobat, the last of the southern tributaries, meets the White Nile at Malakal, bringing with it water from Ethiopia. After Malakal the river is uninterrupted until it reaches the Jebel Aulia dam south of Khartoum. Then, in Khartoum, it meets the Blue Nile, flowing from Ethiopia, which, over the course of a year, carries more water than the White Nile itself. From here the river becomes a ribbon of green, with intensive cultivation for a mile or two each side, and the desert beyond. Cultivated areas are punctuated by steep rocky stretches where cultivation is not possible. The Nile has no significant tributaries after the Atbara river, which joins it a few hundred miles north of Khartoum, just before the great bend that takes the Nile on a loop through the Nubian desert. From Atbara through the desert the river flows alone for a thousand miles until it reaches Lake Nasser, and thence to Lower Egypt and the Mediterranean. Between Khartoum and the Egyptian border there are numerous cataracts – rapids and shallows that limit the navigability of the river. Five out of the six cataracts are – or were – in Sudan; the Second Cataract, however, has lain beneath the waters of Lake Nasser since the construction of the Aswan High Dam in the 1960s; and the Fourth Cataract near Meroe has recently been submerged by the construction of the Hamadab or Meroe dam.

Access to water is of vital importance both for the everyday existence of Sudanese farmers and pastoralists and for large-scale state-sponsored economic development. For those dependent on crops or grazing it is matter of survival. At state level, giant hydrological projects such as the Hamadab Dam, and the Roseires Dam on the Blue Nile hold out the promise of hydroelectricity and agricultural development through

irrigation projects, but these have often had disruptive effects on local populations. In the sphere of international relations, moreover, hydro-politics has long dominated Sudan's relations with Egypt, since Egypt's population, which at 80 million is more than twice the size of Sudan's, is completely dependent on the flow of the river to bring water and alluvial silt to the agricultural areas of the Nile Delta.

Landscape and History

Sudan's geography, then, like its history, appears to be dominated by the Nile. In northern Sudan, most of the population now live along the river; the major cities, industry, wealth and power are all concen- trated there. Greater Khartoum, at the junction of the Blue and White Niles – comprising the three cities of Khartoum, Khartoum North and Omdurman and their surrounding camps and shanty towns – is overwhelmingly the largest urban centre in the country. It would be easy to think that this pattern of development is the unavoidable consequence of a natural landscape; but this is no more inevitable than is the shape of Sudan itself: Sudan's geography is the product of political and historical factors, as well as conditions imposed by nature.

Though large in area, Sudan has never been particularly populous. The population in 1903 was estimated at less than two million – a figure probably pitched deliberately low by British officials anxious to empha- size the loss of life under Mahdist rule. Within a few years the population estimates were being adjusted rapidly upwards, and in 1955–56 the first – and last – plausible census of the whole of Sudan put the population at just over 10 million. 39 per cent of these regarded themselves, according to the census, as members of Arab tribes, and 51 per cent spoke Arabic as their first language. The most recent census, in 2008, recorded a total population of 39 million, but it probably understates the population both of Darfur (recorded as 7.5 million) and of southern Sudan (8.2 million), either as a result of flawed data collection or manipulation of the results. The uncertainty over how many people actually live in Sudan is the most striking example of a recurrent problem: in Sudan, statistics are generally

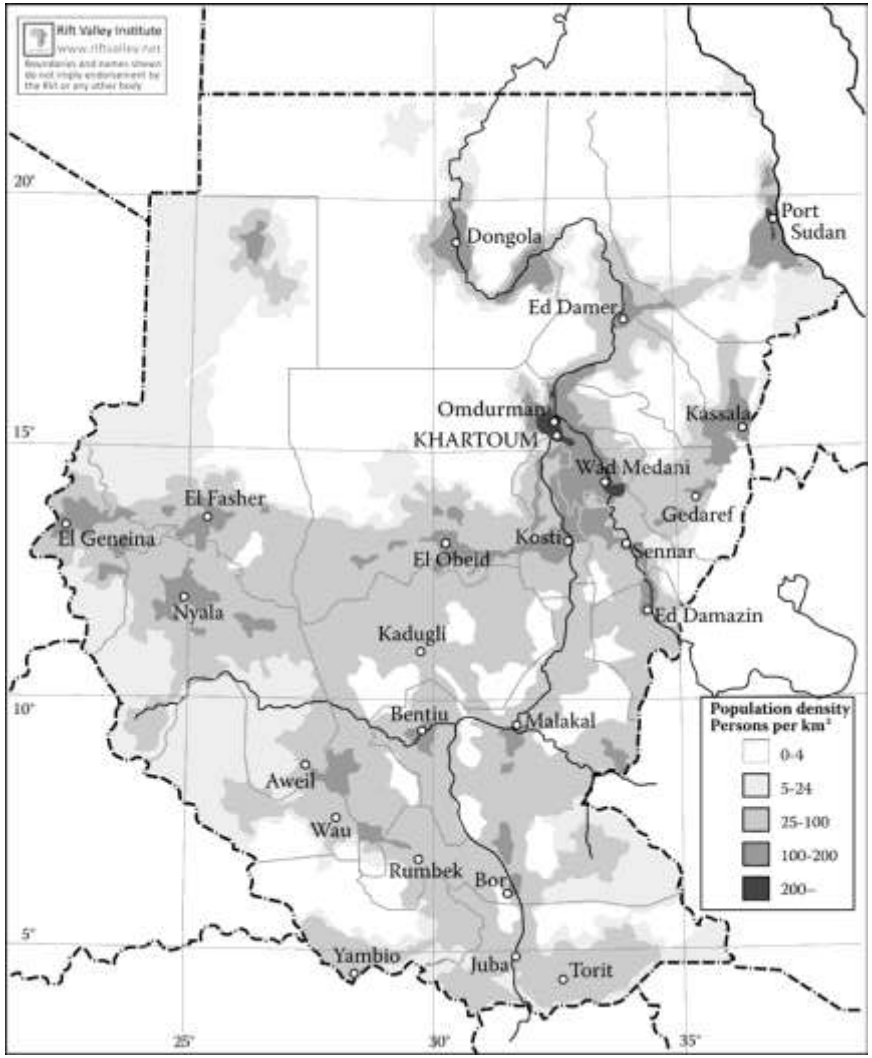

maP 2.2 *Population Density*

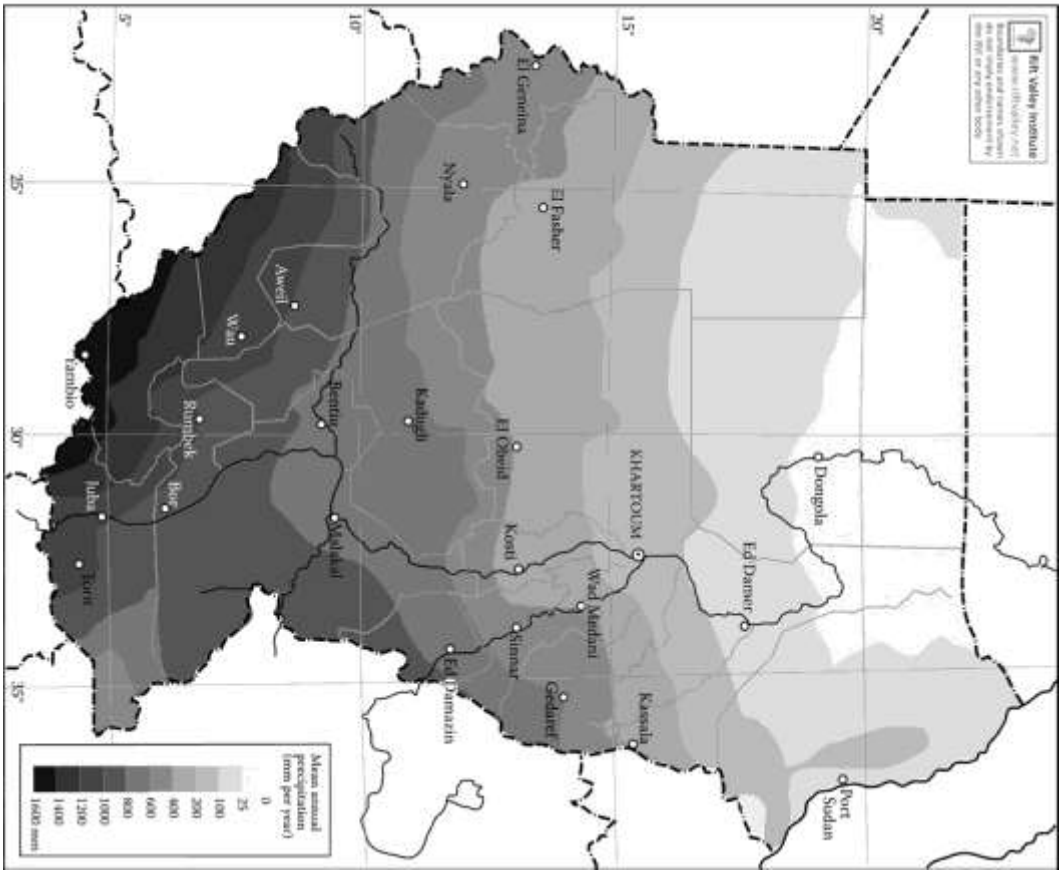

maP 2.3 *Rainfall*

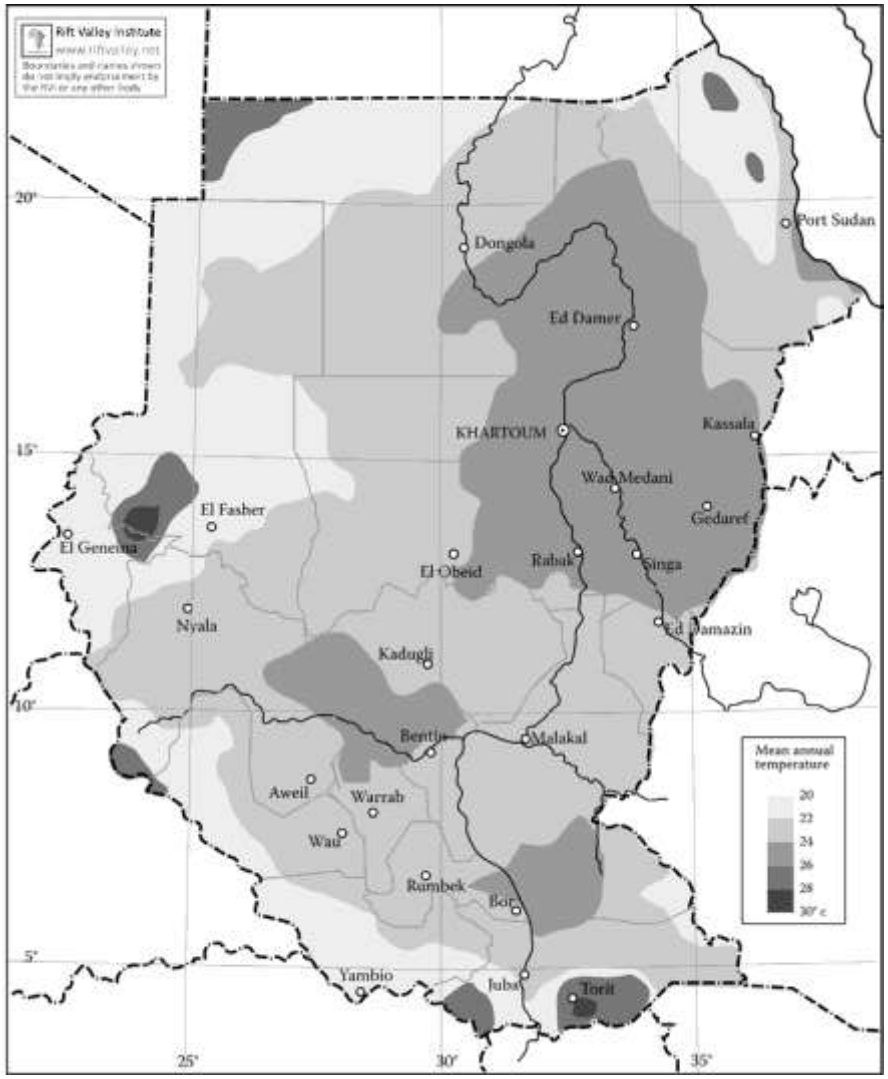

maP 2.4 *Temperature*

unreliable, or contested, or both.

However many people there are in Sudan today, one thing is clear: they rely heavily on an economy which is overwhelmingly agricultural and pastoral. This assertion may seem surprising, given the apparent economic importance of the oil industry; but few Sudanese live from the profits of oil. They live from the crops they grow (mainly sorghum – *dura* in Arabic – and millet) and the herds they tend (camels, cattle, sheep and goats). Farming and stock-raising are important activities all over Sudan. Even the extreme north-west, towards the Libyan border, an arid and effectively desert land, plays a part in livelihood strategies: camel keepers who spend much of the year in Kordofan will drive their herds to these remote lands to catch the *gizzu,* the brief grazing offered by the tiny amount of rain which falls there, which feeds the camels in the breeding season. In Kordofan itself, and in Darfur, even in areas where the annual rainfall seems small, there is cultivation; people farm seasonally along the edge of water courses; they plant to take advantage of rain when it falls. And they move their livestock where the grazing is: seasonally, following established patterns, but also opportunistically. Thus, even in areas where the annual rainfall seems pitifully low, people can live from the land and from their herds. To do so successfully over a long period requires a degree of flexibility; being able to move the herds, or plant where the rain is falling.

The ability to move and to make use of different types of land has also been important for those who live on and around mountains. For the people who live in the Nuba hills of South Kordofan – not a single group, linguistically or culturally, but rather many different, small groups – the most successful livelihood strategies have involved a combination of farming garden plots around their homes on the hills, and planting grain seasonally on larger fields down in the plains. For pastoralists, here and elsewhere, who need to move their herds seasonally for them to survive, this transhumant grazing strategy has encouraged collective, kin-based notions of land tenure which emphasize the rights of occasional use rather than outright ownership of land by individuals. A consistent theme of the modern history of Sudan has been the tension

between these flexible strategies of land use and the new demands of administrative boundaries, individual ownership and entrepreneurial investment.

Roughly speaking, in Sudan, the further south, the more rain there is. This rule is not invariable. Where there is high ground there is more rain, around Jebel Marra in Darfur or in the Nuba hills, for example; and the extreme south-eastern corner of Sudan is relatively arid. But in general, the overall amount of rainfall and the extent to which it is spread through the year both increase towards the south. The area of the three old southern provinces – Upper Nile, Bahr al-Ghazal and Equatoria – is generally much greener than the north. The wettest part of Sudan lies on its borders with the Democratic Republic of Congo and the Central African Republic. Everywhere, the rain is seasonal, and there are some months which are likely to see more rain than others – even in the south-west, where it may rain in any month, there is a pronounced seasonality to the rain. This is the product of the inter-tropical convergence zone, the shifting meeting place of high-altitude air streams.

There are also significant differences of soil type, which combine with the pattern of rainfall to produce varying kinds of vegetation. From north to south, roughly speaking, the soil changes from sandy to clayish to the hard red, lateritic soils known as ironstone. In the south, the distinction between the ironstone plateau of the south-west and the flood-prone, clayish black cotton soils which lie east and north of them is striking, affecting vegetation and the possibilities of movement. The black cotton swells and grows sticky in the rain; it shrinks and cracks as it dries. The clay plains at the heart of the south are largely grassland. Here travel is very difficult when the rains are heavy. The ironstone plateau is more wooded and movement is easier.

Landscape and Technology

Over the last hundred years in most parts of Sudan, human interven- tion has reshaped the landscape and the possibilities of movement and communication. Railways and telegraph lines were the first innovations;

under Turco-Egyptian rule in the nineteenth century, a telegraph line reached Khartoum from Cairo. Railway construction from Egypt south into Sudan made little headway under Turco-Egyptian rule; but the Anglo-Egyptian invasion, the 'reconquest' of 1896–98, rolled forward on the iron rails which carried the steam train. Within a few years of the establishment of the Condominium a programme of railway building connected Khartoum with Egypt, with the new Red Sea harbour at Port Sudan, and with Kordofan's provincial capital at El-Obeid. In the 1950s and early 1960s, a further programme of investment took the railway to Nyala in 1959 and, three years later, to Wau, in the south. (Today, there are plans, not yet realized, to link the south to east Africa by rail.)

Like the political dispensation, the railways placed riverain northern Sudan at the centre; all traffic had to pass through Khartoum, and the links to the outside world also lay through the three cities. Steamer services were established from Khartoum up the river to Juba, but the road network of Anglo-Egyptian Sudan was limited. When, after 1956, a succession of independent governments began to develop this road network, it too focused on the riverain north: that was where the roads led, and where the roads were best.

In the 1970s, the railway network was deliberately run down: perhaps because it was inefficient, perhaps because Nimeiri's government resented the political power of the railway workers union. As a consequence, Sudan's railways were barely functioning by the late 1990s (though there was a small amount of new construction to service the oil industry), but a new programme of road building re-emphasized the dominance of the northern riverain centre – a programme which has accelerated since around 2002, creating tarmac roads from Khartoum north to Wadi Halfa, and improving and developing the roads from Khartoum to the east and to the Gezira, as well as resurfacing the main roads in Greater Khartoum. The failure to complete an asphalted road westwards, that would link Darfur to the rest of the country, regarded by many Darfu- rians as a deliberate act of neglect, has been a contributory cause of civil conflict in the region.

While scant and unreliable rainfall have made flexibility and mobility

important attributes across much of northern Sudan; the Nile has always offered an incentive for a different livelihood strategy, one which focuses on investment and the development of claims on land along the line of the river itself. The annual flooding of some sections of the river creates a very local landscape of fertile, moist alluvial soil, which shifts a little each year as the river makes little changes in course. This seasonal floodland has for millennia been an outstanding resource for cultivators. In more recent times, the steady elaboration of pumping technology – from scoops, to water wheels, to petrol-driven pumps, to schemes for dams and networks of irrigation canals – has created new opportunities for the growing of crops. The effective use of land across much of Sudan has relied on flexibility and mobility, but the developing technologies of riverain agriculture have placed a premium on fixed investment and the control of defined areas.

Controlling the Nile

These possibilities for development are the product of the particular nature of the Nile river – or rather, rivers – as well as the increasing application of capital and technology to control them. The furthest source of the Nile is in Rwanda: from there, water flows into Lake Victoria, through Uganda and Lake Albert (or Rutanzige, as it is also called). This is the water that becomes the White Nile – which, having rushed down the slope from Uganda towards Juba, then meanders its way slowly through the southern part of Sudan, taking its colour and its name from suspended particles of pale clay. The gradient north of Juba is very slight indeed, and the river moves uncertainly, its pace further slowed by the Sudd, great masses of floating vegetation that turn the river into a lengthy stretch of swamp that grows in the wet season and shrinks in the dry, with meandering channels that can make navigation difficult. The Sudd is hard to navigate by boat, and its seasonal expansion across the clayish soils is a menace to land travel, but it is a redoubt for wildlife, creating a remarkable resource for its inhabitants – in the dry season there is a bonanza of fish and opportunities to plant in the moist and fertile soil

as the water recedes. For people who live by combining cattle-herding, fishing and seasonal agriculture, as many do in southern Sudan, the particular flow of the White Nile shapes their livelihoods.

The Sudd soaks up seasonal changes and the White Nile emerges from it, south of Malakal, as a relatively predictable river, with a fairly constant flow of water through the year. At Khartoum, it joins with another, very different Nile. The Blue Nile has a shorter journey than the White; it rushes down to Khartoum from the highlands of Ethiopia, crossing mostly hard ground, with no meandering along the way. It is a very changeable river. When there is no rain in the Ethiopian highlands, there is little water in the Blue Nile; when the rains fall, the river swells rapidly and dramatically. Between May and August, its volume rises by around 1,000 per cent; by February, it is back to its lowest point. Because of this rapid flow, it does not create a vast wetland like the Sudd; there are some local, minor changes in its course, but the fertile alluvial soils which it deposits – the *jerif* – lie closely along the course of the river itself.

It is the waters of the Blue Nile – and those of its smaller sibling, the Atbara – which make the Nile north of Khartoum swell and recede with the seasons each year. North of Khartoum, the river goes down a series of steps in the landscape, which produce the cataracts, long an obstruction to river traffic. Along this stretch of river, as along the Blue Nile, the seasonal generosity of the river was closely bound to its banks, and settlement and farming have always clung closely to the edge of the water. In Egypt, the seasonality of the Nile was the basis of the annual inundation from which Egypt's agriculture was developed.

It was Egypt's reliance on the waters of the Nile which helped to create Sudan; in the late nineteenth century, Egypt's British masters could not countenance the thought that any other European power might control the flood which made Egypt's fields fruitful, and so they insisted on the need for a campaign to defeat the Mahdist state. It was also Egypt's reliance on the Nile which was to set in train the succession of grand hydraulic schemes, planned under the condominium, some of which are finally being built today. Shortly after the defeat of the Mahdists, the

Aswan Low Dam was completed on Egypt's southern border with Sudan; its aim was to control the seasonality of the Nile, ensuring a reliable supply of water for Egyptian agriculture. The Sennar Dam, which was completed in 1925, was intended to create new opportunities for irrigation along the line of the Nile in Sudan itself, with the growing of cotton for export being the key aim. The dam at Jebel Aulia, on the White Nile (1937), was mainly intended to further regulate the water flow to Egypt, though it also provided some water for local irrigation; the Khashm el Girba dam on the Atbara (1964) was built primarily to ensure a water supply for the population that was displaced when the Aswan Dam was raised.

Over time, however, hydro-electric power has come to be the principal rationale for dam-building, with irrigation becoming something of a by-product: the Roseires Dam (1966) on the Blue Nile, currently being raised to create a larger irrigated area, was originally built to generate power, and the recently completed Merowe dam, which has obliterated the fourth cataract, is primarily a hydro-electric project. Dams have exerted a remarkable fascination over a succession of Sudanese regimes, encouraging the focusing of investment and schemes for development along the line of the Nile, particularly in northern Sudan where the river is more tractable; symptomatically, the Government of Southern Sudan is considering its own grand dam scheme, between Nimule and Juba, to generate electricity.

There has been one other scheme of intervention on the Nile; intended not to dam up the river but to make it flow. This was the Jonglei scheme, the plan for an immense canal which would bypass the Sudd and carry the waters of the Nile straight to Malakal and then beyond. Initially conceived as part of a water- management plan, one that had Egyptian interests at its core, the scheme was revived in the 1970s under the guise of development, presented as a plan to make the Sudd productive and create irrigation prospects in the Southern Region. The project was viewed with suspicion by many southerners, and there were significant uncertainties over its possible effect on the environment; there were public protests in southern towns; and the digging of the canal was

abandoned in 1984 after the SPLA attacked the construction camp.

While hydraulic projects have been at the centre of state ideas of development in Sudan, there has been an alternative model of agricultural development, which took the focus away from the Nile. After some experiments in the 1940s, the government decided in the 1950s to systematically promote mechanized rainland farming in the belt of land that forms what has been called the transitional zone, between the Tenth Parallel north and the fourteenth. In the 1970s, the radical government of Jaafar Nimeiri threw new energy into this, and considerable areas of land in what were then Blue Nile and southern Kordofan provinces were assigned to mechanized farming schemes, in the hope that they would produce grain which could be exported to Saudi Arabia and the gulf countries in exchange for hard currency. While some of the investors who put money into these farms evidently prospered, mechanized farming has been seen as problematic by development specialists. By taking up land which, from the state's point of view, no one 'owned' but which was used on an occasional basis by small-scale cultivators, or as seasonal grazing resources, or migration routes, these giant farms compromised the livelihoods of people who relied on flexibility; and the land itself was in some cases quickly exhausted.

In the last few decades, as a result of state intervention, civil war, famine, and, in some areas of the north, increasingly unreliable rainfall – and the consequent disruption of traditional systems of food production – Sudan has seen dramatically accelerated population displacement. Millions of people have been forced to move. Rural-urban migration has resulted in dramatic changes in the population landscape, notably the mushrooming growth of cities in central Sudan, especially the capital region of Khartoum. Sudan's porous international borders with Chad, Eritrea and Ethiopia mean that it has also played host to many hundreds of thousands of refugees from wars in these countries. These shifts in population have far-reaching implications for the natural environment, producing deforestation around urban centres and necessitating food aid where self-sufficiency has been lost.

Natural Resources

Away from the river and the grand projects, Sudan has other kinds of natural wealth. One of the least visible, but most consistently important, is gum arabic, which is an important source of income for the inhabit- ants of a wide belt across the savannah zone between the Tenth Parallel and the Fourteenth Parallel. An edible glue which exudes from the bark of an acacia tree, *Acacia senegalensis* or *Acacia Seyal,* gum arabic is used in producing pharmaceuticals, cosmetics, paints and foodstuffs, including most soft drinks. Sudan presently produces around 25,000 tonnes a year, or half of the world's annual production; most of it coming from Kordofan, where gum gardens do well in dry and sandy conditions. There is little cultivation involved; gum arabic collection is generally a seasonal occupation of poor farmers. At present, a government monopoly over the export trade limits the returns to these farmers, and provides significant revenue to the state. The shea or lulu tree (*Butyrospermum parkii),* source of the shea butter used in cosmetics, occurs in a swathe across Sudan, south of the gum arabic belt. Lulu is a cash crop whose potential has yet to be fully exploited. Elsewhere in Sudan, timber is a potential export commodity. In the south, in particular, there are significant resources of hardwood, growing on the ironstone; during the war, much was felled by army officers in the government garrison at Wau and exported by train and aircraft to the north.

Wildlife remains a threatened and undermanaged resource in Sudan. The Sudd, in particular, is one of Africa's great conservation challenges. The fish and game of the Sudd and other areas of the south helped sustain its inhabitants through two civil wars, but conservation organizations are only now beginning to do surveys to determine what is left of the once-plentiful wildlife. Southern Sudan is home to two of Africa's three main mammal migrations, that of the white-eared kob (*Kobus kobus leucotis)* and that of the tiang *(Damaliscus korrigum lunatus).* These seasonal movements rival the migration of the wildebeest of the Serengeti in scale and extent. Kob and tiang migrate north and south on the plains east of the Nile, the kob from the Guom Swamps past the Boma plateau and back, the

tiang from the Duk Ridge to and from the floodplains of the Kidepo river. The meeting of these two species with the reedbuck (*Redunca redunca)* and Mongalla gazelle (*Eudorcas albonotata),* at the turning point of their respective seasonal movements, is a spectacular event. There are indications, though, that the paths of the migrations are changing in response to human activity. Southern Sudan is home to many rare species, such as the giant eland (*Taurotragus derbianus)* and the shoe-bill stork (*Balaeniceps rex),* the provincial symbol of greater Bahr al-Ghazal and now the symbol of Lakes state. Other charismatic vertebrates have suffered considerably. The elephant population, more than 150,000 in 1976, is a fraction of that today. The northern white rhino is probably extinct in Sudan. Ivory, one of the country's principal exports in the nineteenth century, is now subject to international prohibitions – but can still be found on sale in the *suqs* of Omdurman.

Minerals

With the exception of oil, Sudan's mineral resources seem mostly to be spread around its borders. In the past, copper was mined in the far west of Sudan, at the site known as Hofrat en Nahas; deposits remain, but there has been no commercial working of these in recent times, and an exploratory programme by a major international mining company was abandoned in 1999, as it seemed that the reserves were not commercially viable. In the Ingessana hills, in the east, there are deposits of chrome ore. In the 1970s, chromium was produced locally, but today there is only export of the ore itself; in 2006, Sudan produced 20,000 tonnes of ore. The hills of eastern Sudan have a long tradition of gold working which stretches back to antiquity. Commercial exploitation of this was intermittent in the nineteenth and twentieth centuries, but since 1991 there has been consistent production by a company majority-owned by the Sudanese government. Production of gold may be falling; very different figures are given by different sources: a recent government claim that Sudan produces 20,000 kg of gold a year, much of it from artisanal panning of alluvial gold, is well above other estimates, which put the

figure at 4–5,000 kg. Eastern Sudan also has large deposits of gypsum, and in 2006 14,000 tonnes a year were being mined.

Oil

Sudan's oil is mostly quite far from the northern riverain area. One of the striking aspects of the exploitation of this resource has been the efficiency with which the revenue from it has – despite the distance involved – been largely channelled to Greater Khartoum (though the revenues are now shared with the Government of Southern Sudan). The oil concessions run across Sudan, mostly sloping down from west to east, from southern Darfur to eastern Equatoria; there are concession blocks around Khartoum and in the east, but it is not clear what reserves these northern fields may actually hold. Most of the known oil reserves are in the south. The pipelines run north to Khartoum state, where one refinery is located, and then on to Port Sudan, where there is another refinery, and from where the oil is shipped, most going to the China and Japan.

Not all of Sudan's oil is the same. That from the border area whether greater Bahr al-Ghazal meets Kordofan, which was the first area to be commercially exploited, is called Nile blend; it is of a higher quality than the Dar blend which comes from Upper Nile. Fula blend, from the Kordofan-Darfur borderland, is used for domestic consumption.

Since commercial production began, in 1999, oil has transformed the economy of the central state – though not of Sudan as a whole. In 2008, oil accounted for 95 per cent of Sudan's exports, by value, and for 60 per cent of overall government revenue; during the CPA period, the Government of Southern Sudan has developed as an institution which is completely dependent on oil, which provides 98 per cent of its revenue. This governmental dependence is the corollary of a very high level of state involvement in the oil industry. While the precise terms vary in different concession blocks, the basic model has been for joint ventures between government corporations and foreign investors. These allow close government control; they have also allowed the elaboration of a corporate system in northern Sudan, in which there is a very close

relationship between government and private sector. The oil industry appears to represent the most extreme manifestation of Sudan's distinctive political geography, in which the northern riverain area dominates, and derives wealth from, the rest of the country.

When the oil runs out in Sudan, sometime in the next few decades, water is likely to reassert itself as the country's key economic resource. The construction of dams on the Nile, the generation of electricity as an alternative power source, and the establishment of associated agricultural schemes are the main components of Khartoum's development strategy in the north. In the south, the Jonglei Canal, abandoned in 1983 at the start of the north-south civil war, may be revived. But the effect of a new Jonglei Canal project on dry season grazing and on the wildlife resources of Sudan – and on public opinion – is hard to predict. It is also possible that the waters of the Nile may become a source of international conflict. Sudan is one of nine countries involved in the Nile Basin initiative (an independent south Sudan would make this ten), which has attempted to renegotiate the international agreements that regulate the use of water by riparian states. The agreements give Egypt and Sudan the right to the lion's share in the use of the Nile waters. According to the Nile Waters Agreement of 1929 (and its 1959 amendment), Sudan's share is 18.5 billion cubic metres. Together with Egypt's 55.5 billion cubic metres, the claims of the two northernmost riverain countries account for almost 90 per cent of the annual flow of the Nile. Conflict over this resource has long been a source of friction with the other Nile Basin countries; many years of negotiation have failed to resolve their differences.

Recommended Reading

Tothill, J.D. (ed.). *Agriculture in the Sudan.* London: Oxford University Press, 1948. Barbour, K.M. *The Republic of the Sudan: a Regional Geography.* London: University of London, 1961.

Howell, Paul, Lock, Michael and Cobb, Stephen (eds). *The Jonglei Canal: Impact and Opportunity.* Cambridge: Cambridge University Press, 1988.

Collins, Robert O. *The Waters of the Nile: Hydropolitics and the Jonglei Canal, 1900–88.* Oxford: Clarendon Press, 1990 and Princeton: Markus Weiner, 1996.

3. Early States on the Nile

by abdelRahman ali mohammed & deRek Welsby

Sudan, Nubia and Egypt

Discussions of Sudan's history before the late nineteenth century are complicated by differences between present-day political and cultural boundaries and those of earlier periods. The first cataract of the Nile near present-day Aswan is a key reference point. From the emergence of the Pharaonic state around 3000 bce onwards, the southern border of Egypt lay hereabouts. Egypt often controlled territory further south, but to the Egyptians the land beyond the cataract remained an alien realm. In later periods, although the location of the frontier fluctuated, a major cultural boundary remained. Following the Mahdist revolt in the 1880s and the expulsion of Egypt from Sudan, Egyptian control was maintained as far south as Wadi Halfa, and in January 1899 the official frontier between the two countries was fixed along the Twenty-second Parallel, which lies just north of the Second Cataract. In any treatment of the history of Sudan prior to this time, the part of Egypt that lies south of the First Cataract must be included.

Not only boundaries, but geographical and cultural terminology changes over time. Thus the term Nubia may be used historically to describe an extensive cultural zone, reaching as far north as the First Cataract, but in the present day it has a more restricted definition, signifying those reaches of the river north of the Nile bend where speakers of Nubian languages reside.

The Rediscovery of Sudan's Ancient Past

For those to the north of Sudan, interest in the lands that lie south- wards extends back over five millennia. Egyptians came to Sudan as traders, prospectors and conquerors. The fifth century Greek histo- rian Herodotus recorded tales of the lands to the south of Egypt. The Romans invaded the region and sent a fact-finding mission which may have reached as far south as the Sudd. Byzantine missionaries prosely- tized upstream of the Nile confluence as far as Soba East, the capital of the medieval kingdom of

Alwa; Muslim travellers traversed the northern part of the country; and a Catalan speaker, perhaps a pilgrim, visited the southern Dongola Reach in the thirteenth century. These visitors were followed by the prolific Ottoman writer Evliya Çelebi in the seventeeth century. The history of the region may seem to be characterized by the expansion of northern powers southwards. At certain times, though, the powers that arose south of the First Cataract, that is to say in what is now northern Sudan, were able to push back and conquer the lands to the north.

The first significant contribution to uncovering Sudan's past came when the Scottish traveller James Bruce passed through a field of ruins near the village of Begrawiya in 1772 and correctly identified it as the site of Meroe, the Kushite capital in the first Millennium bce and early centuries CE. From the early nineteenth century, Sudan drew the interest of a new kind of European scholar – many of them from a background in Egyptological or Middle Eastern studies. Almost all their activities were focused on the northern Nile Valley. The excavations organized and financed by Henry Wellcome, the pharmaceutical entrepreneur, at Jebel Moya in the Gezira, between the Blue Nile and White Nile, were a rare exception to the rule.

These researchers sought out the major monumental sites that could be associated with Egypt and the Classical World. In central Sudan and southern Sudan such remains did not exist and those areas were almost totally neglected, as were the desert regions to the east and west of the Nile. Southern Sudan became the preserve of the anthropologist and

ethnographer, and this imbalance in the available data persists to this day, partly as the result of the long periods of insecurity in the south. Darfur, like the south, has also been little explored by archaeologists to date.

The Sudan Antiquities Service

The Sudan Antiquities Service was established in 1903, but for many years it was run on a part-time basis. The first Commissioner was not appointed until 1939, and the Service was not systematically organized until the 1950s. Throughout the 1960s and 1970s the Service concen- trated its efforts on the UNESCO Campaign to Save the Monuments of Nubia that accompanied the construction of the Aswan High Dam in Egypt. Today Sudan is seeing a rapid increase in human settlement, particularly around the main urban centres. Archaeological remains are increasingly threatened by this periurban expansion, and by dam construction schemes – as with earlier major development projects such as the construction of dams at Sennar and Jebel Aulia in the 1920s and 1930s and Roseires in the 1960s, and the development of the Gezira cotton scheme. Until recently such schemes were undertaken without any archaeological rescue operations with consequent loss of valuable information on important sites. Awareness of the importance of the archaeological heritage is now reflected in government programmes which aim to protect the country's cultural heritage. The Antiquities Ordinance of 1999 includes a provision that development projects may be initiated only after the completion of archaeological studies.

Hunters, Gatherers, Early Farmers

Traces of some of the earliest inhabitants of Sudan have been reported in the Dongola Reach at the site of Kaddanarti, just to the north of Kerma. Recent excavations at the island of Sai resulted in the discovery of a well-preserved settlement spanning the period between 300,000 to 200,000 years bce, and provided new information about the early

human occupation of this region of the Nile Valley. Red and yellow iron oxide was collected here, apparently for use as pigments, and this has been claimed as evidence of early artistic activity. The climate at that time was relatively humid but became arid soon after.

The earliest and most representative Palaeolithic site in central Sudan is Khor Abu Anga in Omdurman, discovered in 1949. The site is associ- ated with the long period of human history in which our ancestors used simple stone tools and lived by hunting and gathering. Other sites from this era have been recorded in Wadi Halfa and Argin, while later Lower and Middle Palaeolithic sites were also found in the Dongola Reach. A cemetery at Jebel Sahaba dated towards the end of the Palaeolithic period has been called the earliest war cemetery in the world. Here lie the remains of up to 53 men, women and children, most of them slain by stone-tipped arrows.

Mesolithic populations were hunter-gatherers who developed seden- tary societies with a food-collecting economy. In Sudan, they lived along the Nile and its tributaries, exploiting riverine resources, producing pottery and utilizing tools of stone and bone. The Mesolithic period (8500–5500 bce) in the Nile Valley was first noted as a result of excava- tion at Khartoum hospital by A.J Arkell, a British colonial administrator and archaeologist. Arkell's excavations in 1949 at esh-Shaheinab provided the first evidence of the Early Neolithic period (4900–3800 bce) in central Sudan. This period is characterized by a more systematic food producing economy, with the harvesting of wild grains of barley and sorghum and herding of cattle and goats. During this period the climate in the Sahara was warm and humid.

The First Urban Civilization and Relations with Egypt

Towards the end of the Neolithic, extensive urban settlement began in the Northern Dongola Reach; evidence for this has been located beneath one of the cemeteries at Kerma. Until recently considered to be a small rural settlement, it is clear that in the third millennium bce there was a large urban complex here surrounded by massive and

complex defences. Within the timber and earthwork ramparts are many circular timber huts, rectilinear structures and storage pits. The town predates the development of urbanism elsewhere in sub-Saharan Africa by several millennia. Presumably built on the banks of a channel of the Nile, the town may have been abandoned as the river channel shifted further to the west.

Around 2500 bce another urban centre developed four kilometres to the west. This town became the metropolis of what was known to the Egyptians as the Kingdom of Kush. Like its predecessor it had elaborate defences, an important religious quarter at its heart and innumerable domestic buildings, administrative and industrial complexes. The rulers of Kush rapidly assumed control of the Nile Valley from the upstream end of the Fourth Cataract at Mograt Island to the island of Sai. The material culture of this kingdom, known by the name of its type site, Kerma, is distinctive. It is typified by extremely fine handmade pottery, amongst the best ever made in the Nile Valley, black-topped red ware with a metallic sheen on the black interior and, in case of Kerma Ancien pottery, finely decorated below the rim.

The kingdom of Kush was a major trading partner of ancient Egypt, situated athwart the land route that linked Egypt and the Mediterranean world with central Africa. Its trading networks were extensive and may have included areas far to the south east near Kassala on what is now the Eritrean border, perhaps one of the regions known to the Egyptians as Punt. The trade items passing through Kerma – ivory, animal skins, hard woods, gold and slaves among them – brought great wealth to the town and this is displayed in the royal tombs. The main cemetery, on the site of the pre-Kerma settlement, covers an area of nearly 90 hectares. It is estimated to contain between 30,000 to 40,000 burials. One, perhaps of a king of the middle period of the Kerma kingdom is a grave 11.7 metres in diameter and 2 metres deep, covered by a mound 25 metres across; on the south side there is a crescent of over 4000 cattle skulls. The tombs of the later Kerma kings were even more impressive. Buried under mounds up to 90 metres in diameter they were accompanied to their deaths by as many as 400 sacrificed humans, amongst whom

may have been members of the king's family, retainers and prisoners of war.

The respect shown for the military prowess of the Kushites by the Egyptians is demonstrated on the one hand by the units of archers drawn from this region in the Egyptian army and, on the other, by the massive fortifications the Egyptians built during the Twelfth Dynasty to protect their southern border. These forts have names such as 'Warding off the bows'. During the period 1750–1650 bce, Egyptian power was on the wane. In the north, the Hyksos, an Asiatic people, occupied the Delta. During this period the kingdom of Kush occupied all the territory up to the First Cataract and raided with impunity deep into Egypt.

A recently studied inscription from el-Kab 125 kilometres north of the First Cataract begins thus: 'Listen you, who are alive upon earth… Kush came…aroused along his length, he having stirred up the tribes of Wawat…the land of Punt and the Medjaw…' The Egyptian pharaoh Kamose bemoaned the fact that 'when a chieftain is in Avaris and another in Kush and I sit in league with an Asiatic and a Nubian, every man [is] holding his slice of Egypt.'

With the resurgence of Egyptian power, particularly under Ahmose (c.1550–1525 bce) the Egyptians went on the offensive. After ousting the Hyksos from the Delta, Ahmose turned his attentions south. By 1500 bce Thutmose I had vanquished the Kushite king in a major battle at the Third Cataract and set up his boundary stela, a carved stone marker, far upstream at Kurgus.

Egyptian control lasted until the early eleventh century bce, evidenced by a string of major fortified towns extending as far as Jebel Barkal, a site the Egyptians believed to be the southern ancestral home of their state god Amun. Although the Egyptian domination is evident in the urban centres, its impact on the bulk of the population within its territory may have been much less significant. It appears that when Egypt abandoned its conquests south of the First Cataract, indigenous culture once again came to the fore. This is indicated in funerary customs, ceramic produc- tion and architecture.

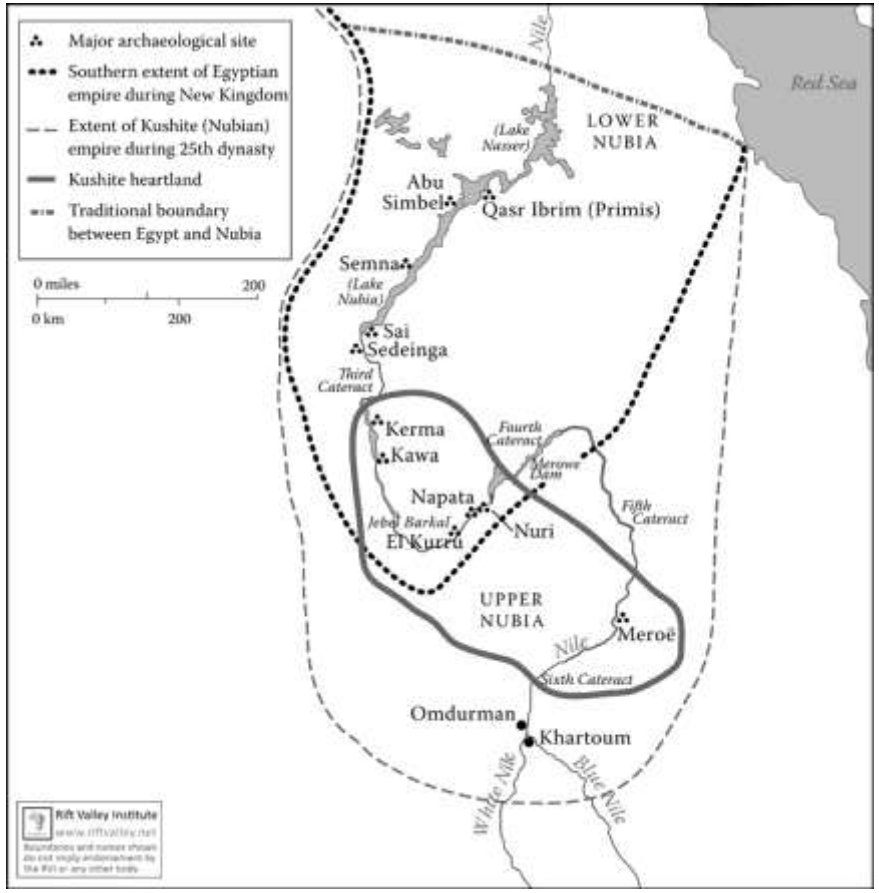

maP 3.1 *Ancient Nubia*

The Rise and Fall of Kush

The situation in Nubia in the few centuries after the Egyptian withdrawal is unclear. We have hints of an important power base at Qasr Ibrim where there was an impressive fortified stronghold, but it was at el-Kurru, twelve kilometres
downstream from the rock massif of Jebel Barkal, that a new state arose which was destined to dominate the Nile Valley from the confluence of the two Niles as far as the Mediterranean. Here there was a clear development of graves, tomb superstructures and funerary customs from indigenous pit graves to extended mummified burials in elabo- rately decorated rock-cut tombs crowned by dressed-stone pyramids. This sequence, documenting the adoption of many aspects of Egyptian religion and funerary culture appears to have been very rapid, spanning a period of only 200 years. This was presumably mirrored by an equally rapid expansion of the state, its leaders rising from local chieftains to become kings of a vast empire.

Unfortunately we know virtually nothing of how this transformation was achieved. What does seem clear is that the early Kushite rulers embraced the Egyptian mythology relating to Jebel Barkal, acquiring the knowledge to allow them to understand the many Egyptian inscriptions and reliefs decorating the temples at the mountain's foot. This material made it clear that Egypt had claimed its legitimacy to rule Kush by its control of the southern home of Amun in the *jebel* itself. It was, therefore, as champions of the Egyptian state god Amun – by then also a Kushite god – that the Kushite king Kashta in the mid eighth century bce took over control of southern Egypt. His successor Piankhi (Piye) went on to conquer the whole of Egypt and to rule, briefly, the largest empire ever seen on the Nile, only surpassed by that of Mohammed Ali in the 1820s, over 2500 years later.

Kushite control of Egypt was brief. Faced with an aggressive Assyria (against whom Kush fought first in the Levant) Kushite rule in Egypt was finally broken with the sacking of Thebes by the Assyrians in 663 bce. Although forced to retire to the south, the Kushites maintained

control over a vast tract of the Nile Valley well upstream of modern-day Khartoum. How far their writ extended to the east and west of the Nile is unclear, but Kushite sites are known deep in the Bayuda, over a hundred kilometres up the Wadi Howar in the Libyan Desert and in the Butana. In the first few centuries of its existence a religious centre developed at Napata, the name given to the region around Jebel Barkal, but a major urban centre was already in existence at Meroe far to the south. The importance of Meroe was further enhanced when the royal burial ground was relocated there in the early third century bce. For visitors today, the pyramid fields of Meroe are one of Sudan's most spectacular archeological sites.

Kushite culture is an interesting amalgam of influences from Egypt merged with local sub-Saharan African traditions. Over its 1200-year history this culture developed dramatically, partly as a result of cultural and political changes in its original source of inspiration, Egypt. In the early period Kush assimilated Pharaonic Egyptian culture and adopted Egyptian as its written language for monumental inscriptions. However, as Egypt itself came under the control of a succession of foreign rulers – Persians, Macedonians and Romans – so the influences on Kush changed. Although the Kushites had presumably always had their own language it was only around the third century bce that a writing system was developed. Thereafter monumental inscriptions and graffiti alike were largely written in this language, now known as Meroitic, which is still very little understood.

Whereas Egypt, a province of the Roman Empire, embraced Christianity during the third and fourth centuries CE, the Kushites remained true to ancestral gods, both local and of Egyptian origin. But the Kushite state collapsed in the fourth century CE. The state, being a generally very thin strip of territory extending over more than 2000 kilometres along the Nile, was inherently unstable. The wealth and power of the kings based at Meroe will have been what held it together; most of this was derived from the control of trade from central Africa. In the third century CE, however, the volume of this trade was reduced by the impoverishment of the Roman Empire and the rise of another trade route through

Axum on the Ethiopian plateau. Although Kushite culture survived to an extent, the territorial integrity of the state was lost.

The Christian Kingdoms of Nubia

Historical sources record that by the mid sixth century CE there were three successor states, Nobadia in the north with its capital at Faras, Makuria in the centre with its capital at Old Dongola, and Alwa (Alodia) in the south with its capital at Soba East. It was these three states which were converted to Christianity by missionaries sent from Byzantine Egypt and Constantinople. This marked a pivotal moment in the cultural history of the Middle Nile Valley; the arrival and possibly rapid adoption of the new religion wiped away millennia of Egyptian and indigenous religious traditions, signalling, notably, the end of the 5000-year old practice of human sacrifice.

The adoption of Christianity doubtless brought important political benefits, allying the Nubian states with Byzantium, the regional super-power. However, the balance of power in the region was shattered in the early seventh century by the Persian conquest of Egypt. Although the Byzantines re-established their control, the armies of Islam dealt a crushing blow both to Byzantium and the Sassanian Empire in the 630s; and the Arab invasion of Egypt in 639 produced a permanent change in the politics of the region. The highly aggressive new masters of Egypt immediately advanced into Nubia under Abdullahi bin el-Sarh. Here, though, they met both a hostile landscape and a bellicose enemy whose prowess with the bow made a deep impression on the would-be conquerors. One Arab source reports ‘the Muslims had never suffered a loss like the one they had in Nubia.’ Returning a decade later and laying siege to Old Dongola, hostilities were brought to a close with the signing of a peace accord, the *Baqt,* which guaranteed the territorial integrity of Nubia. Over the following centuries the Nubian kingdoms Makuria, Alwa and Nobadia developed a vibrant culture.

The Coming of Islam

Although Christianity remained the dominant religion on the Middle Nile until the thirteenth century, Arab settlers began to arrive much earlier, first along the Red Sea coast by way of Egypt and then westwards to the Nile and beyond. Contact between Arabia and Sudan had existed long before Islam. There were two main routes: the first ran across the Sinai Desert through Egypt and into the Sudan; the second was across the Bab el-Mandab into Abyssinia and then northward, or directly across the Red Sea. Ninth-century Islamic tombstones from Khor Nubt in the Eastern Desert provide early evidence for this Arab penetration. Later migrations of Arab groups from the Arabian Peninsula to Sudan contributed a great deal to its Islamic culture, and led to the building of ports and towns at Badi, Aidhab and Suakin and, in the post-medieval period, at Sennar and El-Fasher.

There is clear evidence for the presence of Muslims within the Christian communities of Nubia. A large Muslim community, for example, presumably traders, is recorded on the banks of the Blue Nile within the Alwan capital in the tenth century. It was at the time of the Crusades that attitudes to Christian Nubia in the Muslim world seem to have changed. The first major breach of the peaceful coexistence of Muslims and Christians on the Nile took place under Salah ed-Din, by then the ruler of Egypt, who sent his brother Shams ed-Dawla to attack Nubia in 1173. The next two centuries saw a round of invasions, many reaching the Makurian capital. These were often precipitated by rival pretenders to the Makurian throne soliciting assistance from the Arabs to the north. In 1317, what may have been the audience hall of the Makurian kings at Old Dongola, was converted into a mosque; soon afterwards the ruler of the Christian kingdom is recorded as being a Muslim.

The decline of Alwa, the Christian kingdom to the south, is largely undocumented. The great red-brick churches excavated in the capital seem to have been occupied by squatters as early as the thirteenth century. A very late source, the Funj Chronicle, reports that Soba was overthrown in 1504 by a coalition of Arabs and the Funj of Sennar, under

their leaders Abdallah Gamaa and Omarah Dongus. The Funj state occupied the Gezira between the Blue and the White Niles and the upper reaches of the Blue Nile and extended its control into Kordofan and to the Red Sea in the region of Suakin. The emergence of this state facilitated the emergence of Islamic kingdoms in other parts of the Sudan, such as the Fur and el-Masabaat kingdom in western Sudan, the Sheikhdom of el-Abdallab, with its capital firstly in Gerri and later at Halfaya near Khartoum, and the Sheikhdom of the Red Sea and Fazogli.

Egypt was under Ottoman control from the early sixteenth century, and there was an Ottoman presence on Sudan's Red Sea coast, at Suakin, from 1524. In the Nile Valley the Ottoman frontier was pushed south from Aswan to the First Cataract, then on to the Third Cataract. Advancing north down the Nile, the expanding Funj came face to face with the Ottomans pushing in the opposite direction. After a battle at Hannek near the Third Cataract in 1584, the protagonists left a wide loosely controlled region between the Ottoman outpost on Sai Island and the area of direct Funj control, corresponding to the ancient boundary between Nobatia and Makuria. This frontier marked the southern limit of the Ottoman Empire's North African territory. By the early nineteenth century, however, Ottoman control over the north had lapsed and the Funj state was in terminal decline.

Recommended Reading

Adams, William Y. *Nubia: Corridor to Africa.* London: Princeton, 1997.

Edwards, David N. *The Nubian Past: an Archaeology of the Sudan.* London: Routledge, 2004.

Hassan, Yusuf F. (ed.) *Sudan in Africa.* Khartoum: University of Khartoum Press, 1971.

Török, Laszlo. *The Kingdom of Kush. Handbook of the Napatan–Meroitic Civilization.* Leiden: Brill, 1997.

Welsby, Derek A. *The Kingdom of Kush, the Napatan and Meroitic Empires.*

London: The British Museum Press, 1996.

Welsby, Derek A. *The Medieval Kingdoms of Nubia: Pagans, Christians and Muslims on the Middle Nile.* London: The British Museum Press, 2002.

4 Peoples & Cultures of Two Sudans John Ryle

Whether Sudan is considered as one country or two, cultural diversity and ethnic complexity are among its most immediately striking features. Between them, the republics of Sudan and South Sudan are host to two world religions, myriad local belief systems and hundreds of indigenous languages (rivalling Africa's most polyglot nations, Nigeria, Cameroon and the Democratic Republic of Congo). The modes of livelihood of contemporary Sudanese range from the daily commute of the urban middle-class in the expanding suburbs of Khartoum to the long-range migrations of camel pastoralists in the arid lands of eastern Sudan. They include the deal-making of merchants and itinerant street-traders in urban centres from Wadi Halfa to Juba, the field labour of tenant-farmers in the Gezira, the seasonal movement of cattle keepers in the swamps and savannahs of Bahr al-Ghazal, and the domestic cultivations of Equatorian forest-dwellers.

Ethnic groups in Sudan are numerous; and individual and group identities have multiple aspects. Sudanese people differentiate themselves – or have been differentiated by others – using a range of overlapping criteria: lines of descent from a single ancestor, a common language or place of origin, mode of livelihood, physical characteristics, and political or religious affiliation. The resulting categories may appear to perpetuate difference, but they also enable its opposite: the ordering of relations of exchange and cooperation between communities. Ethnic and other categories change and crosscut one another, reflecting shared histories. Sudan's inhabitants have been progressively linked together over centuries by patterns of trade and migration, and by an emerging political economy that has changed their relations to state power and to each

maP 4.1 *Principal ethnic and ethnolinguistic groups in Sudan and approximate home territories*

other. Their labour – and their ancestors' labour – has been exploited, often by force, and their livelihoods modified or transformed. They have been both victims and instruments of political turbulence and military devastation. Such disruptive episodes, particularly in recent times, have forced many, particularly those living outside the northern heartland in the Nile valley, to move in order to survive, engendering further economic and cultural transformations.

Understanding these Sudanese communities and the relations between them requires an approach that combines geographical, historical and anthropological forms of knowledge. For this purpose, Sudan may be divided into a number of regions. One is the northern heartland that lies along the Nile between Dongola and Khartoum, and between the Blue and White Niles, which has formed the economic and political centre of successive states in modern times. A second is Nubia, in the far north towards Egypt. A third is the desert region in the east stretching to the Red Sea hills and the coast. A fourth region comprises Darfur and Kordofan in the west; a fifth, the north-south borderlands along the Tenth Parallel; a sixth, the extensive floodplain of the White Nile that forms the southern heartland; and, finally, to the South, beyond these, a seventh, the wooded ironstone plateau of Equatoria, on South Sudan's borders with East and Central Africa.

People from all these regions have long been resident in major towns all across north and South Sudan (and in neighbouring African countries, and – more recently – in the cities of Europe, North America and Australia). Yet local origin and a sense of belonging based on kinship or common language remain the primary components of identity for most Sudanese, even for those born and raised far from their places of familial or ancestral origin, as increasing numbers are. Kinship is the funda- mental language of social association; and the greater the distance from the centres of power and the reach of central government the greater the importance likely to be accorded to it, and the less compunction in invoking it.

Some aspects of the cultural diversity of north and South Sudan may be understood as the product of long-term movements of people into or

across geographical zones, and corresponding changes in their modes of production, a process that starts with the first expansion of early humans into north-eastern Africa. Historical geography is thus a starting point for understanding certain aspects of the contemporary distribution of peoples. This diversity is also the product of much more recent events, however, and processes of interaction and redefinition that are still in progress. As the Anglo-Sudanese novelist Jamal Mahjoub has written, Sudan has a multi-layered history, one that has 'crystallized from the crucible of possibility'.

Migration, Settlement and State Formation

In prehistoric Eastern Africa, the unchronicled migrations of hunters and gatherers were followed, first, by the introduction of domesticated animals from Asia, notably the long-horned, auroch-like cattle whose descendants are still the source of livelihood for stock-keepers in south Sudan and the north-south borderlands. Then – around the fifth millennium bce – came the introduction of agriculture. The states that arose in the Nile Valley thereafter owed their wealth and power to the ability to produce food surpluses from the labour of slaves, usually raided from populations further south (raids that were themselves carried out by slave armies) and to the extraction of natural resources such as gold, ivory, skins and timber. This pattern of accumulation endured through the rise and fall of the Nubian kingdoms of the pre-Christian era, through the Christian kingdoms of the middle ages, into the Muslim polities of the sixteenth century, and beyond. Its legacy in interethnic relations can still be seen in Sudan today.

In the current era, the most significant event in Sudan's demographic and social history has been the process of Arabization and Islamiza- tion, an epochal change that transformed indigenous societies across the African continent. After the advent of Islam in the seventh century, a pre-existing pattern of small-scale population exchange between Arabia and Africa was succeeded by a long-term process which combined the physical migration of people from the Arabian peninsula with extensive

assimilation between these migrants and indigenous African populations, and the establishment of trade networks that linked Egypt and the Middle East to West Africa. In time, this was to bring a new religion, a new language and a new source of social organization to a region stretching from Senegal to the Red Sea, the region known to the Arabs as Bilad al-Sudan, 'the land of black people'.

Following the first Islamic conquests of North Africa, small numbers of armed traders followed the Nile Valley southward to Nubia: a seventh-century agreement, the Bakt, records the establishment of relations between the new Muslim rulers of Egypt and the indigenous Nubian kings, marked by an annual tribute of slaves. Later, in the fourteenth century, conflict in Egypt encouraged Arab migration southwards to Nubia, and, from the sixteenth century onwards, the Arabization of the central area of Sudan gathered pace.

This cultural penetration has been characterized by some historians as a predominantly non-violent process, involving the progressive assimilation of indigenous populations by marriage and proselytization. By this account the paradigmatic bearers of Islam were itinerant holy men and teachers (who were sometimes also traders). With them came the slow spread of literacy and a new grammar of kinship, one that gave recently Islamicized communities the opportunity to create lines of patrilineal descent linking them to the family of the Prophet Mohamed or his followers, thus merging diverse local cultures into an Arab ethnic identity. The legend of the wise stranger, a founding ancestor of Arab origin who is given the daughter of a local ruler in marriage and becomes ruler in his turn, is widespread among communities in the north and west of Sudan.

From the sixteenth century onwards new centres of power emerged in the region that was to become Sudan: the Funj kingdom in the Nile Valley around Sennar – an area that is still a key part of the heartland of the modern northern Sudanese state – and, in the west, the Fur sultanate and the Masalit sultanate, both of which endured into the twentieth century. The rulers and the subjects of the Fur and Masalit sultanates were Muslims, but most of them did not embrace an Arab identity in the

way that some of the Funj peoples and others closer to the Nile came to do. Nor did they abandon their native languages. Today, considerable sections of the population of northern Sudan – in Darfur and elsewhere, while practising Islam and speaking one of the Sudanese dialects of Arabic as a lingua franca, retain their own languages. They remain culturally distinct from Arab communities living alongside or among them. These differences may be underlined locally, in rural areas, by differences in modes of livelihood – most Arab groups in Darfur, for example, are primarily nomadic pastoralists; while many of the non-Arab groups are sedentary farmers. But ethnicity and livelihood do not map onto each other with any consistency: non-Arabs can be pastoralists; groups and individuals of Arab origin may settle and become farmers.

Arab Identities in Northern Sudan

The historical limits of Arabization can be seen in the overall distribu- tion of languages and cultures in contemporary Sudan. In the central areas of northern Sudan in the Nile Valley, the great majority of the inhabitants identify as belonging to one or another of a dozen or more Arab tribal groups: they practise Islam, claim Arab descent and speak only Arabic. These children of the river, *awlad al-bahr*, have dominated the post-Independence state. In the far north and in the east of the country, however, as in Darfur, non-Arabic languages are still spoken and non-Arab identities maintained.

In the east, the Beja, an indigenous people over a million strong, who occupy most of Red Sea State (and whose presence there is recorded from antiquity), preserve, for the most part, clear cultural differences from neighbouring Arab communities, whether they continue the traditional Beja life as rural camel-breeders, or live in towns such as Port Sudan, where many have been compelled to migrate by drought. Here, Arabic may be the language of religion, of government and commerce, but Bedawi, the Beja language, forms the fabric of everyday domestic life. In Nubia, between Wadi Halfa, on the border with Egypt, and Dongola to the south, several indigenous languages are still spoken, at least by those

of an older generation. And traces of pre-Islamic Nubian culture can be discerned upstream from Dongola, among the more Arabized peoples towards the centre of the country. South of Khartoum, beyond Kosti, the limit of Arab-Islamic cultural influence coincides, more or less, with the border between north and south Sudan (though a form of Arabic is the lingua franca of the south).

`

The educated elites of three groups in the central Nile valley, groups that came to prominence in the Turco-Egyptian and Condominium periods, have, to a significant extent, monopolized state power in the post-independence era. The Jaaliyin, who are a Jaali subgroup with an historic centre in Shendi, are the first of these. Jaaliyin have also, historically, dominated trade and business in the towns and cities of the north and, until the second civil war, in the south. The second of the key groups in northern politics is drawn from the Shaigiya, a tribal confederacy known historically for initial resistance to the Turco-Egyptian invasion of Sudan and subsequent cooperation with the invaders, and later for their domination of Sudan's armed forces. The third of the triumvirate of riverain groups from which the political elites have been drawn is the Danagla, the people of Dongola in southern Nubia. Danagla are found in every town and city of the north (as are Shagiya and Jaaliyin), while

the original Dongolawi communities maintain a traditional rural life as date-farmers, cultivating the strip of fertile land along the banks of the river downstream of the great Nile bend. Here a Nubian language continues to be spoken, adding a significant undertone to an otherwise Arab-inflected cultural identity.

Beyond the northern Sudanese heartland, away from the two Niles, in Kordofan and parts of Darfur, is the territory of nomadic Arab camel and cattle pastoralists. Many Arabs in Kordofan and Darfur trace their ancestry, nominally at least, to a second wave of migration sometime after the seventeenth century, which entered Sudan from the east. Their traditions and ways of life – and their historical origins – are distinct from those of the farming people living along the river and the latter's urbanized relatives in the cities of the heartland. This difference is reflected in a paradoxical use of the term 'Arab' in riverain communities: it may be used as a self-description, but it may also be used in a pejorative sense to refer to these desert-dwelling nomads.

The Kababish, an historically recent confederation of camel keepers who live in the arid lands of northern Kordofan, have been seen as typifying the way of life of the desert-dwelling Arab peoples – though since the 1980s many of them have lived in poverty on the fringes of Omdurman, having lost their livestock to droughts and misgovernment. In northern Kordofan and in northern Darfur there are numerous other such groups of Abbala – camel-keeping tribes – wresting a living from the harsh environment, as herders and as harvesters of gum Arabic. Further south, in southern Darfur and southern Kordofan – in the northern part of the north–south borderlands – where greater rainfall expands the possibilities of livestock husbandry, is a broad belt of cattle-keeping Arab peoples, known collectively as Baggara (their name derived from the Arabic term for cow). Baggara groups include the Hawazma, Misseriya, Rizeigat, Taisha and Habbaniya. To a still greater extent than other Arab incomers, these cattle nomads of the west have politically and economi- cally assimilated indigenous populations, while themselves being physically assimilated, an ancestry visible in skin tones that are darker than those of most other Arab Sudanese, as dark as many southerners.